المدخل إلى
الثقافة الإسلامية والقضايا الفكرية المعاصرة

تأليف:

د. محمد بن صالح بن هادي الهمامي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

١٤٤٣هـ- ٢٠٢١م.

رقم الفسح الإعلامي: ٥٨٨٩٦٣٢٠٢١١٢٠٦

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلما كانت الثقافة تُبرز هُوية الأمة وتُميزها عن غيرها، وبها تَفهم الأمة ماضيها، وتتعامل مع حاضرها، وتستشرف مستقبلها، وتحمي نفسها من التغيرات التي تجتاح مجتمعاتها بشكل متواصل؛ لذلك فإن الكتابة في مواضيع الثقافة الإسلامية المختلفة أصبحت حاجة ملحة يفرضها الواقع، وضرورة مهمة تقتضيها المصلحة.

ولمعرفة علم الثقافة لابد من مدخل يبين هذا العلم، ويقرب مسائله، ويشرح مفرداته، ويتم فيه توضيح قيم الإسلام سواء كانت القيم العليا أو الخلقية أو الحضارية، وكذلك القضايا الفكرية المعاصرة التي لها ارتباط بالثقافة.

وفي هذا الكتاب تم بحث أهم المسائل المتعلقة بمدخل الثقافة الإسلامية، وشرح أبرز قيم الإسلام فيها، مع بيان أثرها على الإنسان في ذاته ومجتمعه وفي العالم الذي يعيش فيه وينتمي إليه.

وقد حرصت فيه على الإيجاز بقدر الاستطاعة، والاختصار وترك الإطالة، والتيسير مع عدم الإخلال في المعنى، أو إهمال ما فيه حاجة للمبنى؛ حتى يسهل فهم هذا العلم، ويعلم مقصوده، ويعرف مراده.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، واجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم، ونافعة لعبادك المؤمنين، وشاهدة لنا لا علينا يوم الدين.

الفصل الأول: قيم الإسلام، وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: القيم العليا في الإسلام، وفيه ثلاثة مطالب:**
- **المطلب الأول:** الحق: المراد به، ومعياره، والدليل عليه من الكتاب والسنة، وآثاره على الفرد والمجتمع والإنسانية.
- **المطلب الثاني:** العدل: المراد به، ومعياره، والدليل عليه من الكتاب والسنة، وآثاره على الفرد والمجتمع والإنسانية.
- **المطلب الثالث:** الإحسان: المراد به، ومعياره، والدليل عليه من الكتاب والسنة، وآثاره على الفرد والمجتمع والإنسانية.
- **المبحث الثاني: القيم الخلقية في الإسلام، وفيه ثلاثة مطالب:**
- **المطلب الأول:** الصدق: المراد به، ومعياره، والدليل عليه من الكتاب والسنة، وآثاره على الفرد والمجتمع والإنسانية.
- **المطلب الثاني:** الوفاء: المراد به، ومعياره، والدليل عليه من الكتاب والسنة، وآثاره على الفرد والمجتمع والإنسانية.
- **المطلب الثالث:** الأمانة: المراد به، ومعياره، والدليل عليه من الكتاب والسنة، وآثاره على الفرد والمجتمع والإنسانية.
- **المبحث الثالث: القيم الحضارية في الإسلام، وفيه مطلبان:**
- **المطلب الأول:** الاستخلاف: المراد به، ومعياره، والدليل عليه من الكتاب والسنة، وآثاره على الفرد والمجتمع والإنسانية.
- **المطلب الثاني:** السلام: المراد به، ومعياره، والدليل عليه من الكتاب والسنة، وآثاره على الفرد والمجتمع والإنسانية .
- **المطلب الثالث:** الجمال: المراد به، ومعياره، والدليل عليه من الكتاب والسنة، وآثاره على الفرد والمجتمع والإنسانية.

مفهوم الثقافة الإسلامية.

الثقافة لغة: الثقف مصدر الثقافة، وهو عند العرب على أربعة معان واستعمالات هي:

١- ثَقَفٌ أو ثَقُفٌ: من الحذق والفطانة(١).

٢- ثَقِفٌ، من ثَقِفت الشيء، أي: سرعة تعلمه، وقلب ثَقِف أي: سريع التعلم والتفهم(٢).

٣- ثَقْفٌ، من الضبط للأمور والقيام بها، يقال: رجلٌ ثَقْفٌ: إذا كان ضابطا لما يحويه قائماً به(٣).

٤- ثَقِفَه، من إدراك الشيء والظفر به، يقولون: ثَقِفَه في موضع كذا: أخذه، أو ظفر به، أو أدركه(٤).

الثقافة في الاصطلاح: تعريف الثقافة في الاصطلاح على نوعين:

الأول: تعريف الثقافة العامة: تعددت الآراء حول مفهوم الثقافة العامة الاصطلاحي، ومن ذلك:

قيل: هي كل ما فيه استنارة للذهن، وتهذيب للذوق، وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الأفراد أو في المجتمع، وتشتمل على: المعارف والمعتقدات، والفن والأخلاق، وجميع القدرات التي يسهم فيها الفرد في مجتمعه(٥).

ويمكن القول بأن التعريف المناسب لها: أنها العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها(٦).

الثاني: تعريف الثقافة الإسلامية: تعددت التعريفات حول مفهوم الثقافة الإسلامية في الاصطلاح؛ ويرجع هذا التعدد إلى جدة هذا المصطلح وحداثته.

فقيل في تعريفها بأنها: مجموعة القيم والمبادئ التي يتمسك بها أفراد مجتمع ما، وتقود

---

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة، الجواهري، (١٣٣٤/٤).

(٢) ينظر: العين، الفراهيدي، (١٣٩/٥).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، (٨١/٩).

(٤) ينظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي، ص(٧٩٥).

(٥) ينظر: المعجم الفلسفي بمجمع اللغة العربية، ص(٥٨).

(٦) ينظر: المعجم الوسيط، (٩٨/١).

حركتهم وسلوكياتهم؛ لتحقيق أهدافهم في الحياة[١].

وقيل بأنها: معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة بتفاعلاتها في الماضي والحاضر، من: دين، ولغة، وتاريخ، وحضارة، وقيم، وأهداف مشتركة بصورة واعية هادفة[٢].

وهذا التعريف لعله يكون الأنسب في تعريف الثقافة؛ لاشتماله على موضوعات الثقافة الإسلامية الرئيسة.

(١) ينظر: فلسفة الثقافة، مصطفى النشار، ص (٧٨).

(٢) ينظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، رجب شهوان، ص(١١).

المبحث الأول: القيم العليا في الإسلام.

المطلب الأول: الحق.

أولاً: المراد بالحق:

الحق في اللغة: نقيض الباطل، وحق الشيء أي: وجب وجوباً[١]، وحق حقاً؛ إذا وضح فلم يكن فيه شك [٢]، وقيل: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره[٣]، والحق أيضاً من أسماء الله الحسنى كما قال سبحانه :﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ [الأنعام: ٦٢][٤].

واصطلاحاً: تعريفات الحق كثيرة متنوعة، لأن أنواعه متعددة مختلفة، ويمكن ذكر أهم هذه التعريفات كالآتي:

قيل هو: اختصاص يقر به الشرع سلطة أو تكليفاً[٥].

وقيل هو: علاقة اختصاصية بين: صاحب الحق، والمصلحة التي يستفيدها منه[٦].

وقيل هو: مصلحة ثابتة للشخص على سبيل الاختصاص والاستئثار يقررها المشرع الحكيم[٧].

وقيل هو: اختصاص يقر به الشرع سلطة على شيء، أو اقتضاء أداءٍ من آخر؛ تحقيقًا لمصلحة معينة[٨].

ولعل التعريف الأخير هو الأنسب؛ لأنه يشمل حقوق الله تعالى، وحقوق الأشخاص، كما شمل التعريف حقوق الأسرة، وحقوق المجتمع، وغيرها من الحقوق.

وسيكون مدار البحث حول التعريف الأخير، وهو ما يذكره العلماء بقاعدة حقوق الله وحقوق الآدميين، كما قال القرافي﵀: حق الله تعالى أمره ونهيه، وحق العبد مصالحه[١].

---

(١) ينظر: العين، (٦/٣).

(٢) ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد، (١٠٠/١).

(٣) ينظر: التعريفات، الجرجاني، ص(٨٩).

(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (٥٠/١٠).

(٥) ينظر: المدخل إلى نظرية الالتزام في الفقه الإسلامي، مصطفى الزرقا، ص(١٩).

(٦) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته، وهبه الزحيلي، (٢٨٣٩/٤).

(٧) ينظر: الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية، محمد رأفت عثمان، ص(١١).

(٨) ينظر: الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده، فتحي الدريني، ص(٢٦٠).

ثانياً: معيار الحق:

معيار على صاحب الحق بأن يلتزم بما عليه من حق، أولاً: لربه بأن يعبده ولا يشرك به شيئاً، وثانياً: لنبيه محمد ﷺ بأن يتبعه ويقتدي به ويحبه، وثالثاً: لبقية الخلق فيستعمل حقه معهم في حدود: الالتزام بما يجب عليه من حق، واحترام الغير، وعدم الإضرار بالآخرين.

ومعيار لصاحب الحق على الناس، ويكون باحترام حق الشخص بإعطائه إياه، وعدم منعه ذلك الحق: إما بظلم، أو اعتداء، أو تجاهل، أو نسيان.

ثالثاً: الدليل عليه من الكتاب والسنة:

جاءت النصوص من الكتاب والسنة موضحة للحق على الأوجه التالية:

١- حق الله على العباد: الواجب عليهم هو العبادة وعدم الشرك، فيعبدوه كما أمرهم سبحانه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣٢﴾ [المؤمنون: ٣٢]، وفي حديث معاذ رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا»(٢).

٢- حق النبي ﷺ على العباد: حق النبي ﷺ اتباعه فلا يصح إيمان العبد إلا باتباعه ﷺ، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] .

كما لا يصح إيمان العبد إلا بمحبة الله ومحبته رسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾ [التوبة: ٢٤].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»(٣).

---

(١) الفروق، (١/١٤١-١٤٢).

(٢) رواه البخاري، ح(٢٨٥٦)، (٤/٢٩)، ومسلم، ح(٣٠)، (١/٥٨).

(٣) رواه البخاري، ح(١٤)، (١/١٢)، ومسلم، ح(٤٤)، (١/٦٧).

٣- حق العبد على نفسه: هو حفظ العبد حق نفسه وفقاً للتعاليم الدينية الشرعية؛ فلكل إنسان حقوقاً تخصه كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح: «ولنفسك عليك حقاً»(١).

٤- حقوق العباد: وهي قسمان: خاص وعام؛ أما الخاص فمثل بر كل إنسان والديه، وحق زوجته وجاره؛ فهذه من فروع الدين؛ لأن المكلف قد يخلو عن وجوبها عليه؛ ولأن مصلحتها خاصة فردية.

أما الحقوق العامة فالناس على نوعين: رعاة ورعية؛ فحقوق الرعاة مناصحتهم؛ وحقوق الرعية لزوم جماعتهم؛ فإن مصلحتهم لا تتم إلا باجتماعهم، وهم لا يجتمعون على ضلالة؛ بل مصلحة دينهم ودنياهم في اجتماعهم واعتصامهم بحبل الله جميعا؛ فهذه الخصال تجمع أصول الدين. وقد جاءت مفسرة في حديث تميم الداري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»(٢) (٣).

ومن الأدلة التي جاءت بتوضيح حقوق العباد ما ورد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: «حق المسلم على المسلم خمس: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»(٤)، وفي رواية: «للمسلم على المسلم ست بالمعروف، يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويشمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويتبع جنازته إذا مات، ويحب له ما يحب لنفسه»(٥).

ومن حقوق المسلم لأخيه المسلم أيضاً محبته كما قال ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»(٦).

---

(١) رواه البخاري، ح(١٩٦٨)، (٣/٣٨).

(٢) رواه مسلم، ح(٥٥)، (١/٧٤).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١/١٨-١٩).

(٤) رواه البخاري، ح(١٢٤٠)، (٢/٧١)، ومسلم، ح(٢١٦٢)، (٤/١٧٠٤).

(٥) رواه الترمذي، ح(٢٧٣٦)، (٤/٣٧٧)، وابن ماجه، ح(١٤٣٣)، (٢/٤٣١)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٦) رواه مسلم، ح(٥٤)، (١/٧٤).

٥- الحقوق المشتركة: الحقوق المشتركة هي التي يجتمع فيها: حق الله، وحق النفس، وحق العباد، وقد وردت في قول النبي ﷺ: «إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً»(١) .

رابعاً: آثار الحق على الفرد والمجتمع والإنسانية:

كل إنسان له علاقة متبادلة بغيره، وهو يأخذ ويعطي؛ فالإنسان الفرد يعيش في أسرة ومجتمع، ويتعامل مع الآخرين، ويتبادل معهم المنافع، وله حقوق على أسرته ومجتمعه، ولأسرته ومجتمعه حقوق عليه.

وللفرد حق الحياة وأن تتوفر له سائر مستلزمات العيش المناسبة، ومن حقه العمل، وحرية الكسب، والتملك المشروع، ومن حقه أن يعيش آمناً مطمئناً على حياته وعرضه وماله، وما يتعلق به، بعيداً عن الخوف والقلق، وسلب هذا الحق منه ظلم وعدوان يعاقب فاعله.

وكما أن للفرد حقوق فكذلك عليه واجبات وحقوق للآخرين وعندما يسعى للحصول على حقه، فعليه أن يعترف به للآخرين، ولا يخل بشيء من هذه الحقوق ومن ذلك: طاعة ولي الأمر، وعدم منازعة الأمر أهله، والحذر من: الخروج عليه، أو التحريض على الخروج عليه؛ لأن في منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف؛ مما يؤدي إلى الفساد في الأرض، وإراقة الدماء، وانطلاق أيدي المخربين والدهماء.

ومن الحقوق الواجبة على الفرد أيضاً عدم الإخلال بأمن الآخرين، أو فعل ما يخيفهم، أو نشر الرعب والقلق في المجتمع؛ لأن ذلك بمثابة الاعتداء على الهيئة الاجتماعية، والإخلال بأمنه الشخصي في نهاية المطاف.

وكذلك حرمت الشريعة الإسلامية الغيبة والبهتان وإثارة الشبهات وجرح الكرامة بقول أو فعل أو ممارسة، أو بالتجسس ونشر الأسرار، وهتك الحرمات، فكل هذه حقوق على الفرد تجاه مجتمعه يجب الإيفاء بها، والالتزام بعدم تجاوزها.

وعلى الفرد كذلك حقاً واجباً تجاه وطنه كحفظ مصالح الوطن، والدفاع عنه، وأداء ما عليه من واجبات ومسؤوليات، وإن الإخلال أو الإهمال لهذه الواجبات يعرض الحياة الاجتماعية لكثير من المشاكل؛ وعندئذ يصيبه ما يصيب الآخرين من الضرر.

---

(١) سبق تخريجه.

أما آثار الحق على الإنسانية: فالمحافظة على قيم الحق تجعل العالم يسوده روح التعاون بين الجميع، وتنشأ فيه ثقافة الاحترام ومعرفة حقوق الآخرين؛ فكل فرد له حق، وعليه واجب، وهذا أمر ديني وقانون اجتماعي تعترف به جميع الديانات وكل الثقافات، ولا تتحقق العدالة والاستقرار في العالم إلا إذا تم الالتزام بالحق وأُقر به، ولن يكون هناك بذل للمساعدة أو مد يد العون للآخرين إلا إذا حافظ العالم على قيم الحق والتزم بها.

المطلب الثاني: العدل.

أولاً: المراد بالعدل:

العدل لغة: هو القصد في الأمور، وهو خلاف الجور(١)، وقيل العدل هو: المِثْل(٢)، وقيل: قيمة الشيء وفداؤه(٣)، ومن أسماء الله تعالى العدل، وهو: الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم(٤).

واصطلاحاً: التعريف الاصطلاحي يدور حول التعريف اللغوي للعدل.

وقد قيل في تعريف العدل: هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، المشار به إلى جميع الواجبات في: الاعتقاد، والأخلاق، والعبودية(٥).

وقيل هو: وضع الشيء موضعه وأداء الحقوق كاملة(٦) .

وقيل هو: إعطاء كل ذي حق ما يستحقه، وتنزيل كل ذي منزلة منزلته(٧).

والتعريف الأول يعرف العدل من ناحية علاقة الإنسان بربه، بينما التعريف الثاني والثالث يعرف العدل من علاقة الإنسان بغيره من بني جنسه.

ثانياً: معيار العدل:

هو تأدية الإنسان ما أوجب الله عليه أداءه من الحقوق بإعطاء كل ذي حق حقه، مراعياً في ذلك الإيفاء على وجه العدل التام من غير زيادة ولا نقصان في الأفعال والأقوال، وكذلك الالتزام بالحق والإنصاف في: كل أمر من أمور حياته، أو شأن من شؤون مصالحه.

ثالثاً: الدليل عليه من الكتاب والسنة:

جاءت النصوص التي تحث على العدل في الكتاب والسنة كالتالي:

---

(١) ينظر: المصباح المنير، الفيومي، (٢/٣٩٦).

(٢) ينظر: معاني القرآن، الفراء، (٦/٣٢٠).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (٤/٢٤٧).

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، (٣/١٩٠).

(٥) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (٣/١٨٢).

(٦) ينظر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، السعدي، ص(٣٤) .

(٧) ينظر: فتاوى نور على الدرب، ابن عثيمين، (١١/٣٣٨).

١- العدل في الفعل: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل:٩٠]، يعني بالعدل في الأفعال، والإحسان في الأقوال، فلا يفعل إلا ما هو عدل، ولا يقول إلا ما هو حسن(١)، والله يخبر أنه يأمر عباده بالعدل، وهو القسط والموازنة، ويندب إلى الإحسان(٢).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥ ﴾ [النساء:١٣٥]، فأمر تعالى كل إنسان مراعاة العدالة، ونبه بلفظ ﴿ قَوَّٰمِينَ ﴾ على أن ذلك لا يكفي مرة ومرتين، بل يجب أن يكون على الدوام، فالأمور الدينية لا اعتبار لها ما لم تكن على الدوام، ومن عدل مرة ومرتين لا يكون في الحقيقة عادلاً، وبين أن العدالة التامة أن يكون حكم الإنسان على نفسه، وذويه، كحكمه على الأجانب(٣).

٢- العدل في الحكم بين الناس: سواء كان قاضياً، أو صاحب منصب، أو كان مصلحاً بين الناس، وذلك بإعطاء كل ذي حق حقه، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ [النساء:٥٨].

وقال سبحانه: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥ ﴾ [الشورى:١٥]، أي: لأعدل بينكم في جميع الأحوال والأشياء، وقيل: لأعدل بينكم في الحكم إذا تخاصمتم وتحاكمتم إلى الله(٤).

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق

(١) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، (٣/٧٩).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤/٥٩٥).

(٣) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، (٤/١٩٠).

(٤) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (٤/٩٦).

أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»[1]، وفي رواية: «وأن نقيم ألسنتنا بالعدل أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم، الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة، وتفتح لها أبواب السماء ويقول: بعزتي، لأنصرنك ولو بعد حين»[3].

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عدل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا، ففاضت عيناه»[4].

والإمام العادل هو أقرب الناس من الله يوم القيامة، وهو على منبر من نور على يمين الرحمن عز وجل؛ وذلك جزاء لمخالفته الهوى، وصبره عن تنفيذ ما تدعوه إليه شهواته وطمعه وغضبه، مع قدرته على بلوغ غرضه من ذلك؛ فإن الإمام العادل دعته الدنيا كلها إلى نفسها، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، وهذا أنفع الخلق لعباد الله، فإنه إذا صلح صلحت الرعية كلها، وقد روي أنه ظل الله في الأرض؛ لأن الخلق كلهم يستظلون بظله، فإذا عدل فيهم أظله الله في ظله[5].

٣- العدل في القول: فلا يقول إلا حقاً، ولا يشهد بالباطل، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٥٢]، فالله

(١) رواه البخاري ، ح(٧١٩٩)، (٩/٧٧)، ومسلم، ح(١٧٠٩)، (٣/١٤٧٠).

(٢) رواه أحمد في مسنده، ح(٢٢٧١٦)، (٣٧/٣٨٩)، وابن أبي عاصم في السنة، ح(١٠٢٩)، (٢/٤٩٤)، وقال الألباني في ظلال السنة، (٢/٤٩٤): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) رواه الترمذي، ح(٣٥٩٨)، (٥/٥٧٨)، وابن ماجه ح (١٧٥٢)، (٢/٦٣٦)، وأحمد، ح(٨٠٤٣)، (١٣/ ٤١٠)، وقال شعيب الأرناؤوط في حاشية المسند، (١٣/ ٤١٠): حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٤) رواه البخاري، ح(١٤٢٣)، (٢/١١١)، ومسلم، ح(١٠٣١)، (٢/٧١٥).

(٥) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (٦/ ٤٦).

يأمر بالعدل في الفعال والمقال، على القريب والبعيد، والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد، في كل وقت، وفي كل حال(١).

٤- العدل في الكيل والميزان: قال تعالى:﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥ ﴾ [هود:٨٥]، أي: ليكن الإيفاء على وجه العدل، من غير زيادة ولا نقصان أمراً بما هو الواجب؛ لأن ما جاوز العدل فضل، وأمر مندوب إليه، وفيه توقيف على أن الموفي، عليه أن ينوي بالوفاء القسط؛ لأن الإيفاء وجه حسنه أنه قسط وعدل(٢).

٥- العدل في التعامل مع غير المسلمين: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾ [المائدة:٨]، أي: كونوا قوامين لله بالحق، ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل. اعدلوا في الولي والعدو؛ وذلك أقرب إلى أن تكونوا متقين(٣).

ولا يخفى أن من ثمرات هذا العدل ترغيب المخالفين بالدخول في الإسلام، وكم من حادثة عدل حكم فيها قاضي مسلم لغير المسلم على المسلم اتباعاً للحق؛ فكانت بعد هداية الله سبباً في دخول الناس إلى الإسلام.

رابعاً: آثار العدل على الفرد والمجتمع والإنسانية:

حث الإسلام على العدل حتى تكمل أخلاق المسلم في اعتدال واستقامة وحب للحق، كما يربأ بالمسلم عن الوقوع في أي لون من ألوان الظلم.

ومن آثار العدل على الفرد: العدل بينه وبين نفسه فيمنعها عما فيه هلاكها، أو الإضرار بها، ويلزم القناعة في كل حال، والاعتدال في القول والفعل، وخشية الظلم، وتحري العدل في التعامل مع الغير في جميع الأمور، فإذا كان العدل ديدنه والظلم مجانب له؛ أرضى ربه، وأحسن إلى غيره، وارتاح ضميره، واطمأن قلبه.

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٣/٣٦٥).

(٢) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، (٦/١٢٣).

(٣) ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (١/٥٢٥).

أما العدل بينه وبين الخلق ففي بذل النصيحة، وترك الخيانة فيما قل وكثر، ولا يضر أحداً: بقول وفعل، أو همز ولمز.

فإذا تحقق العدل بين أفراد المجتمع: حُفظت الحقوق، وارتفع الظلم، ونُصر المظلوم.

والعدل إذا قام في البلاد عمَّرت، ونمت وازدهرت، وهو سبب في حصول الخير والبركة إذا كان منتشرًا بين أفراد المجتمع؛ لأنه يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتسمو به البلاد، وتنمو به المصالح، وتنهض الحضارة بمساهمة الأفراد في ذلك؛ لأنه لن يكون هناك أي حقد، أو نقم، وغضب من الأفراد تجاه منجزات أوطانهم، أو تخريب أو إفساد لمقدراته.

كما يحقق العدل الراحة واليقين في نفوس الأفراد، ويعزز من توكلهم على الله؛ فالفرد الذي يعيش في المجتمع العادل يطمئن بأن حقه سيأتيه دون انتقاص أو مساس؛ فتتحقق له القناعة والراحة، ويكتمل له الهناء والأمان.

أما آثار العدل على الإنسانية: فالاهتمام بقيم العدل تجعل العالم أكثر أماناً، وينتهي مظاهر الظلم والاعتداء على الأفراد والأمم، وتنشأ حضارة لها قابلية التطوير والتقدم؛ لأن الناس قد اطمأنوا واستأمنوا على أنفسهم وأموالهم، وتيقنوا بأن القوانين ستأخذ مجراها، وأن هناك من سيتكفل برد حقوقهم إن ظُلموا أو أُوذوا، وأنه لن يفلت من العقاب كل من: ارتكب الجرائم، أو حرض عليها، أو هدد حياة الآمنين، أو أفسد طمأنينتهم.

المطلب الثالث: الإحسان.

أولاً: المراد بالإحسان:

الإحسان لغة: من الحسن وهو: ضد القبح ونقيضه، وحسنت الشيء تحسيناً: زينته(١)، وقيل: الإحسان ضد الإساءة، قال تعالى: ﴿ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: ٢٢] (٢)، وقيل: الإحسان مأخوذ من الحسن، وهو كل ما مدح فاعله(٣).

واصطلاحاً: يختلف معنى الإحسان اصطلاحا باختلاف السياق الذي يرد فيه:

ومن ذلك ما ذكره النبي ﷺ من تفسير له عند ما سأله جبريل: ما الإحسان؟ فقال ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك..»(٤)، فأراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة؛ فإن من راقب الله أحسن عمله(٥).

وقيل: هو استحضار مراقبة العبد ربه في كل ما يقول ويعمل، كأنه بين يديه سبحانه؛ بما ينتج عن ذلك الخوف والخشية والإخلاص والنصح في العبادة عموماً(٦).

وقيل: الإحسان يقال على وجهين، أحدهما: الإنعام على الغير: أحسن إلى فلان، والثاني: إحسان في فعله؛ وذلك إذا علم علماً حسناً، أو عمل عملاً حسناً(٧).

ثانياً: معيار الإحسان:

معيار الإحسان في عبادة الله بتحقيق عبادته خوفاً منه وهرباً إليه، ولا يتأتى ذلك إلا باجتناب ما نهى الله عنه وفعل ما أمر به.

---

(١) ينظر: لسان العرب، (١٣/١١٤- ١١٥).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، (٤/١٨٣-١٨٤).

(٣) ينظر: أحكام القرآن، ابن العربي، (١/١٦٧).

(٤) رواه مسلم، ح(٨)، (١/٣٦).

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، (١/٣٨٧).

(٦) ينظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، (١/١٣٢). بتصرف.

(٧) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز أبادي، (٢/٦٨).

ومعيار الإحسان إلى الخلق يكون: بالقيام بحقوقهم الواجبة لهم، فيحسن إلى من أُمر بالإحسان إليه وإكرامه، ويقوم بحقوق من كان مكلفاً به أو مسؤولاً عنه، ولا يؤذي من نهى الله عن أذيته.

ثالثاً: الدليل عليه من الكتاب والسنة:

جاءت النصوص التي تحث على الإحسان في الكتاب والسنة كالتالي:

١- الإحسان في العبادة: قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف: ٣٠]، أي: إنا لا نضيع ثواب من أحسن عملاً فأطاع الله، واتبع أمره ونهيه، بل نجازيه بطاعته وعمله الحسن جنات عدن تجري من تحتها الأنهار(١).

٢- الإحسان إلى الوالدين: قال تعالى:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣]، فأوصى الله بالإحسان إلى الوالدين..، وكثيراً ما يقرن سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين(٢).

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله، قال: «فهل من والديك أحد حي؟» قال: نعم، بل كلاهما، قال: «فتبتغي الأجر من الله؟» قال: نعم، قال: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»(٣)، وفي هذا الحديث دليل لعظم فضيلة برهما وأنه آكد من الجهاد(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك»(٥).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري، (١٦/١٨).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٢٩٨/٢).

(٣) رواه مسلم، ح(٢٥٤٩)، (١٩٧٦/٤).

(٤) ينظر: شرح النووي على مسلم، (١٠٤/١٦).

(٥) رواه البخاري، ح(٥٩٧١) ، (٢/٨)، ومسلم، ح(٢٥٤٨)، (١٩٧٤/٤).

٣- الإحسان إلى الجار: عن أبي شريح الخزاعي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»(١)، فتجب مراعاة حقوق الجيران، والإحسان إليهم بقدر الإمكان، ويحرم الاعتداء عليهم بأي عدوان(٢).

٤- الإحسان إلى النفس: قال تعالى:﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء: ٧]، أي: لها ثوابها، وإن أسأتم فلها، أي: فعليها عقاب الإساءة(٣).

٥- الإحسان إلى الزوجة: قال تعالى:﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وعن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال: حدثني أبي: أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ، ثم قال: «... ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن»(٤)، وفي هذا دليل على حقها عليه بالإحسان إليها في طعامها وكسوتها، وكل ذلك بالمعروف من وسع الله عليه وسع عليهن، ومن قتر عليه فبقدره(٥).

٦- الإحسان إلى الأبناء: عن عائشة ﵂ قالت: جاءتني امرأة، ومعها ابنتان لها، فسألتني فلم تجد عندي شيئا غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئا، ثم قامت فخرجت وابنتاها، فدخل علي النبي ﷺ فحدثته حديثها، فقال النبي ﷺ: «من يلي من هذه البنات شيئاً، فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»(٦)، فقوله ﷺ وأحسن إليهن،

---

(١) رواه مسلم، ح(٤٨)، (٦٩/١).

(٢) ينظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، (١٨٠/٣).

(٣) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (١٢٣/٣).

(٤) رواه الترمذي، ح(١١٦٣)، (٤٥٨/٢)، وابن ماجه، ح(١٨٥١)، (٥٧/٣)، والنسائي في الكبرى، ح (٩١٢٤)، (٢٦٤/٨). وقال: الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) ينظر: التحبير لإيضاح معاني التيسير، الصنعاني، (٤٥٨/٦).

(٦) رواه البخاري، ح(٥٩٩٥)، (٧/٨)، ومسلم، ح(٢٦٢٩)، (٢٠٢٧/٤).

أي: صانهن وقام بما يصلحهن، ونظر في أصلح الأحوال لهن، فمن فعل ذلك، وقصد به وجه الله تعالى، عافاه الله تعالى من النار، وباعده منها، وهو المعبر عنه بالستر من النار(١).

٧- الإحسان إلى الفقراء والمحتاجين: قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، أي: عودوا بالإحسان على من ليس بيده شيء(٢).

٨- الإحسان إلى الناس بالقول: قال تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، أي لين القول، من الأدب الحسن الجميل والخلق الكريم، وهو مما ارتضاه الله وأحبه(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ ﴾ [الإسراء: ٥٣]، أي: وقل لعبادي المؤمنين يقولوا الكلمة التي هي أحسن(٤).

رابعاً: آثار الإحسان على الفرد والمجتمع والإنسانية.

للإحسان آثار تبدأ بالإحسان إلى النفس، ومن طرق مظاهر الإحسان التي تعود على الفرد بالخير والفلاح وهي: الإحسان إلى النفس، فيريحها بطاعة الله، ويوطنها على فعل الخير؛ فيكسب رضا ربه، ويحيا حياة طيبة في الدنيا، ونعيم وراحة في الآخرة.

ومن الإحسان إلى النفس تزكيتها عن شرور الأعمال وارتكاب المحرمات، فينهاها عن ارتكاب أي محرم أو معصية؛ لئلا يدخلها في دائرة الهلاك والخسران، فمن أساء إلى نفسه وأتبع نفسه هواها، عاد ذلك عليه في الدنيا بنكد العيش، وفي الآخرة بالوبال وسوء الحال.

وثانياً الإحسان إلى الوالدين، فالإحسان إليهما من أعظم القربات وأجل الطاعات، وبالإحسان إليهما تتنزل الرحمات وتُكشف الكربات ويُكسب رضاه تعالى.

ومن طرق الإحسان إلى الوالدين: برهما وحسن معاملتهما، ومجالستهما ومؤانستهما، وإدخالِ السرور عليهما، وتفقدِ أخبارِهما، والسؤال عن أحوالهما، والاستفسار عن حاجتهما، والقيام بطاعتهما وخدمتهما.

---

(١) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، (٦/٦٣٦).

(٢) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (١/٢٥٤).

(٣) ينظر: تفسير الطبري، (٢/٢٩٦).

(٤) ينظر: زاد المسير، (٣/٣١).

والإحسان إلى الوالدين سبب لنشر المحبة والألفة بين أفراد الأسرة الواحدة، وهو الدافع لإحسان الأبناء لآبائهم بعد إحسانهم من قبل لآبائهم، وهكذا يبقى عمل الإحسان مستمراً في الأبناء والأحفاد، ومتعاقباً في الأجيال تلو الأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثالثاً الإحسان إلى القرابة: وذلك بمتابعة الزيارة والتواصل بين الأهل والأقارب من حين إلى آخر، وهي باب عظيم لتآلف النفوس وصفائها، وصدق القلوب ونقائها؛ ولذا فإن صلة الرحم من أعظم الأعمال في صلاح الأحوال والأمور وزيادة الثواب والأجور، وهي حصن لثبات المجتمعات وتماسك العلاقات؛ فالإنسان الذي يصل رحمه ويتابع أقاربه ويتعهدهم بالخير والإنفاق والمساعدة، يعمل على انسجام نسيج المجتمع وترابطه وتواصله وتآلفه.

رابعاً الإحسان إلى الجار: والإحسان إلى الجار من أعظم أوجه الأعمال التي تساعد على ترابط المجتمعات، وتكاتف أهل البيوت والأحياء؛ فالإحسان إلى الجيران والتواصل الدائم معهم والسؤال عن أحوالهم، ومشاركتهم أوقات الحزن والفرح؛ سبيل إلى نشر الأُلفة والمحبة، وزيادة في العطف والرحمة؛ فينعم أهل الجيرة بحياة هنيئة مستقرة، وتعمر قلوبهم بالرضا، وأحوالهم بالسرور.

خامساً بذل الخير للمحتاجين: الإحسان هنا ينصب أساسا على الجانب الضعيف في المجتمع كاليتامى والمساكين وأبناء السبيل ومن في حكمهم، وبذل الخير ومساعدة المحتاج من أسباب تمتع المجتمعات بالأمن والسعادة والاستقرار والطمأنينة، وحتى تتم أوجه الترابط الوثيقة بين كافة أفراد المجتمع؛ لابد من عطف الغني على المحتاج وبذل القادر للفقير؛ حتى تغدو المجتمعات متماسكة تحس بالأمان الاجتماعي، وتشعر بالرعاية الأسرية، وتسلم تلك المجتمعات من المنغصات، وتحيا وفق ما أراد الله.

سادساً الإحسان الأوسع والأرحب في العلاقات الإنسانية وهو: دائرة التعامل مع كافة أطياف المجتمع، ومن أوجه الإحسان في ذلك: الإحسان في القول والعمل، فلا يؤذي أحدًا بقول من الأقوال أو فعل من الأفعال؛ حتى يصبح المجتمع المسلم خاليًا من الشقاق والفرقة، وسالماً من التنافر والمشاحنات، ولا يكون فيه إلا تعامل بالطيب وتواصي بالخير، وتكون القلوب مسكونة بالعطف والرحمة، والألسنة مليئة بالذكر والكلمات الحسنة.

أما آثار الإحسان على الإنسانية: فالمحافظة على قيم الإحسان التي تشمل الفرد والمجتمع والحياة الإنسانية بأسرها هو: الوسيلة الأمثل لحل أغلب مشاكل الحياة وصعوباتها؛ فاستقرار

العالم وطمأنينته منوط بتحقيق قيم الإحسان لحل المشكلات، ومتعلق بفضائلها لإنهاء الخصومات، ومشروط ببذل الخير للمحتاجين الذين يعانون العوز والمجاعات، ومهم بتفقد أحوال الذين حلت عليهم النكبات.

ومتى ما كانت قيم الإحسان مسكونة في قلوب الناس، وحاضرة في تصرفاتهم؛ فإن الخير يأتي، والرخاء يعم، والسرور يحل.

المبحث الثاني: القيم الخلقية في الإسلام.

المطلب الأول: الصدق.

أولاً: المراد بالصدق:

الصدق لغة: خلاف الكذب(١)، وصدَقت القوم: قلت لهم صدقاً(٢)، والصِدِّيق: الرجل الكثير الصدق(٣)، وقيل: بل من لا يتأتى منه الكذب؛ لتعوده الصدق، وقيل: بل من صدق بقوله واعتقاده، وحقق صدقه بفعله(٤).

واصطلاحاً: تنوعت عبارات العلماء في تعريف الصدق، والقصد واحد، ومن هذه التعريفات:

قيل: أن لا يكون في أقوالك شوب(٥)، ولا في أعمالك عيب، ولا في اعتقادك ريب(٦).

وقيل: هو الخبر عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب(٧).

وقيل: الصادق من صدق في أقواله، والصديق من صدق في جميع: أقواله، وأفعاله، وأحواله(٨).

ولعل التعريف الأول هو أشمل التعريفات؛ لاشتماله على تعريف الصدق في القول والعمل والاعتقاد.

ثانياً: معيار الصدق:

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، (٣/ ٣٣٩).

(٢) ينظر: لسان العرب، (١٠/ ١٩٣) .

(٣) ينظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي، ص(٩٠٠).

(٤) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، (٢٦/١٣).

(٥) الشوب: قيل هو: الخلط، وقيل هو: الخديعة. ينظر: العين، (٦/٢٩١)، وتهذيب اللغة، (١١/٢٩٥).

(٦) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الألوسي، (١١/٢٧٥).

(٧) ينظر: الواضح في الفقه، ابن عقيل، (١/١٢٩).

(٨) ينظر: روح البيان، الخلوتي، (٢/٢٣٥).

هو التلفظ باللسان مع مطابقة الواقع بعيداً عن تغيير الحقائق، ومطابقة القول بالفعل البعيد عن التزييف أو النفاق أو المجاملة، مع الالتزام بالأخلاق الكريمة والصفات الفاضلة، عند التعاملات والتصرفات مع الخلق.

ثالثاً: الدليل عليه من الكتاب والسنة:

جاءت أدلة الصدق في الكتاب والسنة وقد تناولت موضوع الصدق بأساليبَ عدة، منها ما يلي:

١- الصدق من صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام: كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [مريم: ٤١]، أي أنه كان من أهل الصدق في حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب(١).

وقال تعالى عن إسماعيل عليه السلام: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم: ٥٤]، أي أنه كان صادق الوعد، هذا عام فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين الناس(٢).

وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ ﴾ [يوسف: ٤٦]، أي: الصِدِيق المبالغ في الصدق، ووصفه الله بهذه الصفة؛ لأنه لم يجرب عليه كذباً(٣).

وقال تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الصافات: ٣٧]، أي: صدَّقهم فيما أخبروه عنه من الصفات الحميدة، والمناهج السديدة، وأخبر عن الله في شرعه وقدره وأمره كما أخبروا(٤).

٢- الصدق قرين التقوى والإيمان: كما قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، أي: الذين صدَقوا الله في إيمانهم، وحققوا قولهم بأفعالهم(١).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري، (٢٠٢/١٨).

(٢) ينظر: زاد المسير، (١٣٥/٢).

(٣) ينظر: التفسير البسيط، الواحدي، (١٣٤/١٢).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (١٢/٧).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣٣]، أي: كل من دعا إلى توحيد الله، وتصديق رسله، والعمل بما ابتعث به رسوله من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال: الصدق هو القرآن، وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدق به: المؤمنون بالقرآن، من جميع خلق الله كائنا من كان من نبي الله وأتباعه(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩]، الصديقون هم المبالغون في الصدق؛ حيث آمنوا بالله وصدقوا جميع رسله، والقائمون لله سبحانه بالتوحيد(٣).

٣- أمرُ الله بالصِّدق والترغيب فيه: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩]، أي: اصدُقوا والزموا الصدق؛ تكونوا مع أهله، وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم فرجًا من أموركم ومخرجًا(٤).

٤- الصدق جامع كل صفات البر: كما قال سبحانه: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فقد وصفهم الله بالصدق والتقوى في أمورهم والوفاء بها، وأنهم كانوا جادين في الدين، وهذا غاية الثناء(٥).

٥- عِظَم جزاء أهل الصدق: كما قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ ﴾ [المائدة: ١١٩]، أي: ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة، ولو كذبوا ختم الله على أفواههم، ونطقت به جوارحهم فافتضحوا(٦).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري، (٣/٢٥٦).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (٢١/٢٩١).

(٣) ينظر: فتح القدير، (٥/٢٠٨).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم،، (٤/٢٣٠).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢/٢٤٣).

(٦) ثائر الرأس: أي منتشر شعر الرأس قائمه. ينظر: النهاية في غريب الحديث، (١/٢٢٩).

وعن طلحة بن عبيد الله ﷺ أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر[1] الرأس فقال: يا رسول الله، أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة؟ فقال: «الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئا» . فقال: أخبرني بما فرض الله علي من الصيام؟ فقال: «شهر رمضان إلا أن تطوع شيئا» . فقال: أخبرني ما فرض الله علي من الزكاة؟ قال: فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام. قال: والذي أكرمك بالحق، لا أتطوع شيئا ولا أنقص مما فرض الله علي شيئا. فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق»[2]، أي: فاز وظفر بالنجاة إن صدق في قوله[3].

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال: «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم»[4].

وعن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[5].

ففي هذا الحديث حث على تحري الصدق وهو قصده والاعتناء به، وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه، فإنه إذا تساهل فيه كثر منه فعرف به وكتبه الله لمبالغته صدِّيقاً إن اعتاده، أو كذاباً إن اعتاده، ومعنى يكتب هنا: يحكم له بذلك، ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم، أو صفة الكذابين وعقابهم[6].

---

(١) ينظر: معالم التنزيل، (١٠٦/٢).

(٢) رواه البخاري، ح(١٨٩١)، (٢٤/٣)، ومسلم، ح(١١)، (٤٠/١).

(٣) ينظر: شرح سنن أبي داود، العيني، (٢٣٤/٢).

(٤) رواه أحمد في المسند، ح(٢٢٧٥٧)، (٤١٧/٣٧)، وابن حبان في صحيحه، ح(٢٧١)، (٥٠٦/١)، والحاكم في المستدرك، ح(٨٠٦٦)، (٤/ ٣٩٩)، والبيهقي في الكبرى، ح(١٢٦٩١)، (٤٧١/٦)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٥) رواه البخاري، ح(٦٠٩٤)، (٢٥/٨)، ومسلم، ح(٢٦٠٧)، (٢٠١٣/٤).

(٦) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (١٦٠/١٦).

وعن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ قال: حفظت من رسول الله ﷺ : «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»(١)، فالصدق يتميز من الكذب بسكون القلب إليه، ومعرفته، وبنفوره عن الكذب وإنكاره(٢).

وعن أبي سفيان ﷺ في حديثه الطويل في قصة هرقل، قال هرقل: «فماذا يأمركم – يعني النبي ﷺ – قال أبو سفيان قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة...، وسألتك، هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت: أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله»(٣).

رابعاً: أثر الصدق على الفرد والمجتمع والإنسانية:

حث الإسلام المسلمين على التمتع بالأخلاق الحميدة، وقد أشارت الأدلة إلى أن الدين هو المعاملة، والمعاملة لا تكون إلا بطيب الخلق وحسن الطباع، ومن أهم الأخلاق التي دعانا الإسلام إلى التمسك بها ونهانا عن تركها هي: صفة الصدق.

فالصدق يكون مع الله بإخلاص العبادة لله، ومع النفس بإقامتها على شرع الله، ومع الناس في الأقوال والكلمات، والإيفاء معهم في الوعود والمعاملات؛ حتى يكون ظاهر الإنسان كباطنه وسره كعلانيته.

ويتعين على الفرد أن يكون صادقاً مع نفسه من خلال تحسس عيوبه، والحذر من الاستهانة بذنوبه، ومحاولة التخلص منها قدر المستطاع، وعدم خلق مبررات للقيام بأعمال غير ملائمة؛ فمراقبة الله وخشيته، وعتاب النفس ولومها من أبرز ما يمكن القيام به؛ لتحقيق الصدق مع النفس.

---

(١) رواه الترمذي، ح(٢٥١٨)، (٨/٢٥)، والحاكم في المستدرك، ح(٧٠٤٦)، (٤/ ١١٠)، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح.

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم، (٢/٧٤٢).

(٣) رواه البخاري، ح(٧)، (١/٨)، ومسلم ح(١٧٧٣)، (٣/١٣٩٣).

وإذا التزام الفرد الصدق في جميع شؤون حياته؛ حظي في تعاملاته وأقواله على ود ومحبة المحيطين به، فضلاً عن ثقتهم فيه واعتباره مثلاً يحتذى به، وأنموذجاً للمؤمن التقي الصادق النقي.

وللصدق فوائد عظيمة تعود بالنفع على المجتمع بأكمله، وتظهر أهمية ذلك في ترابط المجتمع وعدم تعرضه للتفكك، وتحقيق اجتماع الكلمة، وتأكيد تماسك اللُحمة؛ حتى يصل أفراد المجتمع إلى درجة من كبيرة من التعاون والتآزر، والانسجام والتوافق.

والمعاملة إذا كانت مبنية بينهم على الصدق والحقيقة، وبعيدة عن التزييف أو النفاق، وسالمة من المحاباة والمجاملة؛ عم الخير وشمل النفع كل المجتمع؛ فاطمأنت القلوب، وارتاحت الأنفس.

أما آثار الصدق على الإنسانية: فالالتزام بقيم الصدق وقول الحقيقة تجعل العالم مكاناً مناسباً للحياة وملاذاً آمناً للاستقرار، وسبباً مهماً لوجود التعايش بين أفراد العالم.

وكلما كانت قيم الصدق في العالم حاضرة؛ سادت حالة من التسامح بين أفراده، وتكونت بينهم علاقات اجتماعية صادقة، وروابط على الحقيقة مبنية وعلى الوضوح قائمة، وتعاملات نظيفة ليس فيها: كذب في الأقوال، أو احتيال في الأفعال، فإذا تحقق ذلك؛ نَعِم العالم بحياة هادئة خالية من المشاكل، وراحة لا يعكر صفوها منغصات العيش، أو منكدات السعادة والاطمئنان.

المطلب الثاني: الوفاء.

أولاً: المراد بالوفاء:

الوفاء لغة: ضد الغدر(١)، وقيل: إتمام العهد وإكمال الشرط (٢)، وقيل: هو الخلق الشريف العالي الرفيع، ومنه الوفاء بالعهد: وسمي بذلك؛ لما فيه من بلوغ تمام الكمال في تنفيذ كل ما عاهد عليه الله، وفي كل ما عاهد عليه العباد(٣).

واصطلاحاً: التعريف الاصطلاحي للوفاء لا يخرج كثيراً عن التعريف اللغوي، ويدور حول الالتزام والإكمال والتمام، والمحافظة على العهود والمواثيق، ومن هذه التعريفات:

قيل: هو إتمام العهد وعدم نقض حفظه، وبذل المجهود في جميع ما طولب به(٤).

وقيل: هو حفظ ما يقتضيه العقد والقيام بموجبه(٥).

وقيل: هو المحافظة على العهد والالتزام به(٦).

ولعل التعريف الأول هو أشمل وأعم من بقية التعريفات.

ثانياً: معيار الوفاء:

(١) ينظر: جمهرة اللغة، (١٠٨٢/٢).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، (٦/ ١٢٩) .

(٣) ينظر: نزهة الأعين النواظر، (٤٤٦- ٤٤٨) .

(٤) ينظر: بصائر ذوي التمييز، (٢٤٥/٥).

(٥) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الألوسي، (٢٢٢/٣).

(٦) ينظر: معجم لغة الفقهاء، قلعجي، (٥٠٧/١).

معيار الوفاء مع الله: بتحقيق العبودية الخالصة لله عز وجل، والمحافظة على الأوامر واجتناب النواهي، والوفاء مع الرسول ﷺ: بالحب الصادق له، وتعظيمه، ونصرة شريعته، والوفاء بالعهد مع النفس: بمجاهدة النفس وتزكيتها، وعدم تحميلها أكثر من طاقتها، أما الوفاء مع الناس: بإيفاء الالتزامات، وإتمام العقود، وعدم نقض العهود.

ثالثاً: الدليل عليه من الكتاب والسنة:

جاءت النصوص التي تحث على الوفاء في الكتاب والسنة كالآتي:

١- أمرُ الله بالوفاء بالعهد: كما قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [البقرة: ٤٠]، أي: بامتثال أمري؛ أوف بعهدكم بالقبول والثواب(١).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ [المائدة: ١]، يعني ما أحل الله وما حرم، وما فرض وما حد في القرآن كله، فلا تغدروا ولا تنكثوا(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النحل: ٩١]، العهد الذي يجب الوفاء به هو: الذي يحسن فعله، فإذا عاهد يجب الوفاء به(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٤]، وهو عام فيما بين العبد وبين ربه، وفيما بينه وبين الناس، وكل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة، جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: «نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضية؟ اقضوا الله؛ فالله أحق بالوفاء»(١).

---

(١) ينظر: معالم التنزيل، (١٠٩/١).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٧/٢).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط، (٨٠/٣).

(٤) ينظر: زاد المسير، (٢٤/٣).

وعن عائشة ﵂ عن النبي ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه»(٢).

وعن عمر ﵁ أنه قال: يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال له النبي ﷺ: «أوف نذرك فاعتكف ليلة»(٣).

٢- الوفاء من صفات المرسلين: كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب: ٧]، أي: عهداً مؤكداً شديداً، بأنهم يعملون بما أمرهم الله به، وينتهون عما نهاهم الله عنه(٤).

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ [النجم: ٣٦-٣٩]، الذي وفى وتمم، وأكمل ما أمر به، وبلغ قومه، وأدى إليهم ما أمر به(٥).

وعن ابن عباس ﵄ قال: أخبرني أبو سفيان ﵁، أن هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم؟ فزعمت: «أنه أمركم بالصلاة، والصدق، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة»، قال: وهذه صفة نبي(٦).

٣- الوفاء من سمات المؤمنين المتقين: كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝١٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧]، فيما بينهم وبين الله عز وجل، وفيما بينهم وبين الناس، إذا عاهدوا، يعني: إذا وعدوا أنجزوا، وإذا عاهدوا أوفوا، وإذا قالوا صدقوا، وإذا ائتمنوا أدوا(٧).

---

(١) رواه البخاري، ح(١٨٥٢)، (١٨/١٣).

(٢) رواه البخاري، ح(٦٦٩٦)، (١٤٢/٨).

(٣) رواه البخاري، ح(٢٠٤٢)، (٥١/٣)، ومسلم، ح(١٦٥٦)، (١٢٧٧/٣).

(٤) ينظر: تفسير الطبري، (٣٦٢/٩).

(٥) ينظر: التفسير الوسيط، (٢٠٢/٤).

(٦) رواه البخاري، ح(٢٦٨١)، (١٨٠/٣).

(٧) ينظر: معالم التنزيل، (٢٠٦/١).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ﴾ [المؤمنون: ٨-١٠]، أي: إذا اؤتمنوا لم يخونوا، بل يؤدونها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك(١).

وقال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ۝٢٣ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٢٤ ﴾ [الأحزاب: ٢٣-٢٤]، أي: رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول ﷺ والمقاتلة للأعداء، وقيل: من الطاعات مطلقاً(٢).

٤- الوفاء بين الأزواج: أ- الوفاء مع الزوجة: كما قال سبحانه: ﴿ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ۝٢١ ﴾ [النساء: ٢١]، فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذي أخذه الله للنساء على الرجال الإمساك بمعروف، أو التسريح بإحسان، والثاني: أنه عقد النكاح، والثالث: أنه أمانة الله(٣).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحق الشرط أن توفوا به، ما استحللتم به الفروج»(٤).

ب- الوفاء مع الزوج: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن»، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير(٥)، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط»(٦).

٥- الوفاء مع الكفار: عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمداً، فقلنا: ما نريده،

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٥/٤٦٣).

(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن، (١١/١٦٧).

(٣) ينظر: زاد المسير، (١/٣٨٧).

(٤) رواه البخاري، ح(٢٧٢١)، (٣/١٩٠)، ومسلم، ح(١٤١٨)، (٢/١٠٣٥).

(٥) يكفرن العشير: العشير هو الزوج، أي: يجحدن إحسان أزواجهن. ينظر: النهاية في غريب الحديث، (٤/١٨٧)، ولسان العرب، (٤/٥٧٤).

(٦) رواه البخاري، ح(٢٩)، (١/١٥)، ومسلم، ح(٩٠٧)، (٢/٦٢٦).

ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ، فأخبرناه الخبر، فقال: «انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم»(١).

رابعاً: آثار الوفاء على الفرد والمجتمع والإنسانية:

يحرص الإسلام على توثيق العلاقات الاجتماعية بين المسلمين؛ لتتحقق دعائم المحبة والمودة، وتأكيد الاستقرار والأمن والثقة في شتى المجالات والمعاملات والعلاقات فيما بينهم.

ومن الوفاء: الوفاء بالعهد مع النفس فسعادة المرء مرهونة بوفائه مع نفسه؛ لأنه لو كان وفياً مع نفسه لالتزم بالوفاء مع الله ورسوله والناس أجمعين، فالإنسان بإمكانه أن يكذب على كل الناس، ولكن من المحال أن يكذب على الله، أو أن يخدع نفسه أو يكذب عليها.

والمسلم المتمسك بالوفاء في كل أحواله يجد في نفسه سعادة عظيمة؛ عندما يوفي ما عليه من حقوق الله كاملة، ويؤدي ما عنده من حقوق للمسلمين وافية.

وإذا تحقق الوفاء في الأسرة الواحدة زادت الثقة بين أفراد هذه الأسرة، ونمت أواصر التعاون عندهم، وزادت علاقات المحبة بينهم، ومن هذا الوفاء هو: ميثاق الزوجية وما يدور حوله من شؤون الأسرة، فلا بد من الوفاء به والالتزام بحقوقه والقيام بواجباته من: رحمة وبر وحسن عشرة وحفظ للأسرار، وكلما حافظ الأزواج على الوفاء بهذا الأمر؛ كلما تحققت السكينة والمودة بينهما، وتوطدت العلاقة لديهما، ومتى ما استقامت هذه القيم في هذا المجتمع الصغير، استقامت بالتدريج في المجتمع الكبير، ثم في المجتمع الأكبر.

أما آثار الوفاء على المجتمع: فالوفاء قيمة خلقية وصفة إنسانية عظمية، ولبنة أساسية في بنية المجتمع الإسلامي؛ حيث تضم شامل المعاملات وتحوي سائر العلاقات؛ إذ كل المعاملات والعلاقات الاجتماعية والوعود والعهود تتوقف على الوفاء، وتعتمد عليه، ولا تستغني عنه.

والوفاء بالعهود والعقود المعتبرة شرعًا البعيدة عن الظلم والاستغلال وأكل أموال الناس بالباطل، من أهم سبل تحقيق الأمن وأنجح طرق الاستقرار في المجتمع، ويعود أثرها وثمراتها على الفرد والمجتمع؛ فتنشر قيم المودة والرحمة به، ويستمر الأمان والاستقرار فيه.

---

(١) رواه مسلم، ح(١٧٨٧)، (٣/١٤١٤).

أما آثار الوفاء على الإنسانية: فقيم الوفاء تجعل العالم: مكاناً فاضلاً، ومسكناً آمناً، وتزداد الثقة بين جميع أفراده، ويتحقق فيه قوى الخير والبناء، وتظلله روح المودة والصفاء، ويختفي الخداع والكذب، وينتهي الغش والنصب.

أما إذا انعدم الوفاء في العالم؛ انعدمت الثقة بين البشر، وساء التعامل بينهم، وساد التنافر عندهم، وانتشرت الفوضى فيهم.

المطلب الثالث: الأمانة.

أولاً: المراد بالأمانة:

الأمانة لغة: الأمانة والأمَنة: نقيض الخيانة (١)، وقيل: الأمانة جمع أمين وهو الحافظ (٢)، وقيل: الأمانة هي: اسم لما يؤمن عليه الإنسان، أي ما يؤتمن عليه(٣).

واصطلاحاً: اختلف العلماء في تعريف الأمانة على عدة تعريفات.

ومن هذه التعريفات قيل: هي كل حق لزمك أداؤه وحفظه(٤).

وقيل: ما وجب حفظه بعقد أو بغير عقد، وسواء أكان هذا العقد عقد استحفاظ كالوديعة، أم عقد استئجار كالإجارة، والأمانة بغير العقد كاللقطة في يد الملتقط(٥).

---

(١) ينظر: لسان العرب، (٢٢/١٣).

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث، (٧١/١).

(٣) ينظر: المفردات، الأصفهاني، ص(٩٠).

(٤) ينظر: فيض القدير، المناوي، (٢٢٣/١).

(٥) ينظر: معجم لغة الفقهاء، ص(٨٨).

وقيل: أنها كل ما يؤتمن عليه من أمر ونهي وشأن دين ودنيا، والشرع كله أمانة(١).

ولعل التعريف الأخير هو التعريف الأنسب للأمانة؛ لاحتوائه كل ما يتعلق بالدين والدنيا.

ثانياً: معيار الأمانة:

معيار الأمانة مع الله: بأداء فيما افترضه على عباده من الأوامر، واجتناب كل ما نهى عنه من النواهي، ومعيار الأمانة مع الناس: بحفظ الحقوق وتأديتها إلى أهلها، وحفظ أموال الناس وأجسامهم وأرواحهم وعقولهم، وصيانتها مما يؤذيها أو يضر بها.

ثالثاً: الدليل عليه من الكتاب والسنة:

الدليل على الأمانة هي النصوص التي جاءت في الكتاب والسنة، وكانت بالصور التالية:

١ – أمرُ الله بتأدية الأمانة: كما قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، يعني: فإن كان الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق فلم يرتهن منه شيئا لحسن ظنه به، فليؤد الذي اؤتمن أمانته، أي: فليقضه على الأمانة، وليتق الله ربه في أداء الحق(٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء: ٥٨]، هذه الآية من أمهات الآيات المشتملة على كثير من أحكام الشرع؛ لأن الظاهر أن الخطاب يشمل جميع الناس في جميع الأمانات..، فيجب عليهم رد ما لديهم من الأمانات، والتحري في الشهادات والأخبار(٣).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، يخبر تعالى أنه عرضها على المخلوقات العظيمة، السماوات والأرض والجبال، عرض تخيير لا تحتيم، وأنك إن قمت بها وأدَّيتِهَا على وجهها، فلك الثواب، وإن لم تقم بها، ولم تؤديها فعليك العقاب(٤).

---

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، (٥٠٩/٨).

(٢) ينظر: معالم التنزيل، (٣٩٧/١).

(٣) ينظر: فتح القدير، (٥٥٥/١).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص(٦٧٣).

٢- تحذير الله من خيانة الامانة: كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ ﴾ [الأنفال: ٢٧]، أي: لا تخونوا الله والرسول، وهذا خطاب لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة، وهو يجمع أنواع الخيانات كلها قليلها وكثيرها(١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٨ ﴾ [الأنفال: ٥٨]، فدل مفهوم الآية أنه إذا لم يُخَفْ منهم خيانة، بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك، فلا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»(٣)، يعني إذا ائتمنه الناس على أموالهم، أو على أسرارهم، أو على أولادهم، أو على أي شيء من هذه الأشياء فإنه يخون والعياذ بالله؛ فهذه من علامات النفاق(٤).

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»(٥).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاء أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث. فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال: «أين أراه السائل عن الساعة؟» قال: ها أنا يا رسول الله. قال: «فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»(٦).

---

(١) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، (١٢٦/٣).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص(٣٢٤).

(٣) رواه البخاري، ح(٣٣)، (١٦/١)، ومسلم، ح(٥٩)، (٧٨/١).

(٤) ينظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، (٤/ ٤٨).

(٥)رواه البخاري، ح(٣٤)، (١٦/١)، ومسلم، ح (٥٨)، (٧٨/١).

(٦) رواه البخاري، ح(٥٩)، (٢١/١).

٣- الأمانة من صفات الأنبياء: وُصف بها نبي الله موسى عليه السلام كما ورد في قوله تعالى عندما قالت إحدى الفتاتين اللتين سقا لهما: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦].

ووُصف نبي الله هود عليه السلام نفسه أيضًا بالأمانة كما جاء على لسانه في قوله تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف: ٦٨]، أي: أنا لكم ناصح يعني: فيما آمركم به من عبادة الله عز وجل، وترك عبادة ما سواه، أمين يعني: على تبليغ الرسالة، وأداء النصح(١).

ووصف الملك نبي الله يوسف عليه السلام بالأمانة عندما حكّمه في خزائن الأرض كما جاء على لسان الملك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف: ٥٤]، أي: متمكن مما أردت، وعرض لك من حاجة قبلنا؛ لرفعة مكانك ومنزلتك، لدينا أمين على ما اؤتمنت عليه من شيء(٢).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني أبو سفيان رضي الله عنه أن هرقل قال له: «سألتك ماذا يأمركم فزعمت أنه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة، قال: وهذه صفة نبي»(٣).

٤- الأمانة من صفات المؤمنين المتقين: كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ ﴾ [المؤمنون: ٨-١٠]، أي: مراعون لها، حافظون مجتهدون على أدائها والوفاء بها، وهذا شامل لجميع الأمانات التي بين العبد وبين ربه: كالتكاليف السرية، التي لا يطلع عليها إلا الله، والأمانات التي بين العبد وبين الخلق، في الأموال والأسرار(٤).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الخازن المسلم الأمين، الذي ينفذ وربما قال: يعطي ما أمر به كاملاً موفراً طيباً به نفسه، فيدفعه إلى الذي أمر له به أحد

(١) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (٢/٢١٦).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (١٩/١٤٧).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص(٨٨٧).

المتصدقين»[1]، وفي رواية: «الخازن الأمين، الذي يؤدي ما أمر به طيبة نفسه، أحد المتصدقين»[2].

رابعاً: آثار على الفرد والمجتمع والإنسانية.

الأمانة أمر جامع لكل ما كلف به الفرد أو استؤمن عليه، وهي تشمل حقوق عدة: منها حقوق الله تعالى، ومنها حقوق العباد.

فحق الله على الفرد: طاعته وأداء الفرائض التي أمره الله بها، وبهذا تكون شاملة لجميع التكاليف، والالتزامات الدينية والدنيوية، التي يثاب فاعلها، ويعاقب تاركها.

وحق العباد على الفرد: يشمل العلاقات الاجتماعية من حيث تعامل الفرد مع الآخرين، سواءً كانت هذه العلاقة: مع الأسرة، أم المجتمع.

فالأسرة تعتبر نواة المجتمع واللبنة الأساسية فيه، فمن رعى فيها فريضة الأمانة، ووفى فيها ما عليه من الرعاية والديانة؛ حصل له الحظ الأوفر، والجزاء الأكبر من: الأجر في الدنيا، والثواب في الآخرة.

وبناء الأسرة يتكون من الأبناء والزوجة، فتربية الأبناء وتهذيبهم وتوجيهم للمعالي، وتعليمهم أمور والدين ومنافع الدنيا، وتعويدهم على المكارم من: البر والأخلاق الحميدة، وطلب الرزق من وجوه الحلال؛ أمانة يجب مراعاتها، وفضيلة يجب غرسها.

وقيام الرجل بحق زوجته أمانة، ومن ذلك حفظ أسرار العلاقات الزوجية، فكل ما يحدث داخل البيت من شؤون العشرة بين الرجل وامرأته يجب أن يمر ويطوى، ويكتم ولا يروى؛ لأنه خلاف أدب الإسلام، ومنافي لمكارم الأخلاق.

أما حق الواجب للمجتمع على الفرد في الأمانة فيتمثل في: حسن معاملتهم، وعدم فعل ما يضرهم، أو عمل ما يزعجهم، وينطبق ذلك على أقرباء الفرد، وعلى الجيران، وعلى الناس والمجتمع كله؛ فيؤدي الفرد ما عليه نحو المجتمع من عطاء وإلزام ووفاء.

والمجتمع التي تفشو فيه قيم الأمانة بين أفراده مجتمع خير وبركة؛ لأنه يعم البذل والإيثار بينهم، وتنبذ الأنانية وحب الذات عندهم.

---

(١) رواه البخاري، ح(١٤٣٨)، (١١٤/٢)، ومسلم، ح (١٠٢٣)، (٧١٠/٢).

(٢) رواه البخاري، ح(٢٢٦٠)، (٨٨/٣).

أما آثار الأمانة على الإنسانية: فقيم الأمانة تحفظ العالم من انتشار الغش والخيانة، وتلزم الأفراد بحفظ الحقوق وتأديتها إلى أهلها، وأداء العمل بإخلاص في أية مهنةٍ يمتهنونها أو أعمال يقومون بها، والتعامل مع الغير بالصدق ومجانبة الكذب، والإيفاء بالعقود وعدم نكث العهود.

وقد حرصت جميع الأمم على نشر قيم الأمانة في كل مجتمعاتها، وحثت على تعزيز فضيلة الوفاء في جميع كياناتها؛ حتى ترتقي حضارتها، ويحفظ لها وجودها، وتسلم لها قيمها.

المبحث الثالث: القيم الحضارية في الإسلام.

المطلب الأول: الاستخلاف.

أولاً: المراد بالاستخلاف.

الاستخلاف لغة: هو النيابة عن الغير(١)، وخلف تأتي لأحد معانٍ ثلاث: أن يجيء شيء بعد شيء فيقوم مقامه، ومنه الخلَف: العوض عن شيء فائت، ومنه الخلافة سميت خلافة؛ لأن الثاني يجيء بعد الأول قائماً مقامه (٢).

واصطلاحاً: اختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي، ومن هذه التعريفات ما يلي:

قيل: النيابة عن الغير؛ إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض(١).

(١) ينظر: المفردات، ص(٢٩٤).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، (٢/٢١١).

وقيل: عهد الإمام بالخلافة إلى من يصح إليه العهد؛ ليكون إماماً بعده(٢).

وقيل: تمكين الله للبشر عامةً، ولبعضهم خاصةً؛ في إحلالهم محل من كان قبلهم في: ملكية الأرض، والمال(٣).

ولعل التعريف الأخير هو التعريف الأنسب في تعريف الاستخلاف.

ثانياً: معيار الاستخلاف.

معيار الاستخلاف العام مشروط باستيفاء العمل الصالح في الاستخلاف: بإصلاح الأرض وعمارتها، لا بقصد إفسادها وخرابها.

واستخلافه الخاص محكوم: في الملك: بالالتزام بأداء الحقوق، والعدل في الحكم، وعدم الظلم، وفي المال: بحفظ العهود، وكسب الحلال، والابتعاد عن الحرام.

ثالثًا: الدليل عليه من الكتاب والسنة:

ورد لفظ الاستخلاف في الكتاب والسنة بألفاظ متعددة هي كالآتي:

الأول: اسْتَخْلَفَ: كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة الأنعام:١٣٣]، ويأت بخلق غيركم وأمم سواكم، يخلفونكم في الأرض، من بعدكم: يعني: من بعد فنائكم وهلاككم(٤).

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة هود:٥٧]، أي: إن أعرضتم يهلككم الله عز وجل، ويستبدل قوما غيركم أطوع منكم؛ يوحدونه ويعبدونه. ولا تضرونه شيئاً؛ بتوليكم وإعراضكم، إنما تضرون أنفسكم(٥) .

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز، (٥٦٢/٢).

(٢) ينظر: أسنى المطالب، السنيكي، (١٠٩/٤)، ومغني المحتاج، الشربيني، (١١٠/٤).

(٣)ينظر: مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي، عبدالله الناصر، ص(٨).

(٤) ينظر: تفسير الطبري، (١٢٦/١٢).

(٥) ينظر: معالم التنزيل، (٤٥٣/٢).

وقال تعالى: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [سورة الأعراف:١٢٩]، في هذا الاستخلاف قولان: أحدهما: أنه استخلاف من فرعون وقومه. والثاني: استخلاف عن الله تعالى؛ لأن المؤمنين خلفاء الله في أرضه(١).

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [سورة النور:٥٥] [النور:٥٥]، فهذا وعد من الله لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أئمة الناس والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلن بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم، وقد فعل تبارك وتعالى ذلك(٢).

وعن مصعب بن سعد، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف علياً، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون، من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي»(٣).

وعن عبد الله بن عمر ﷺ، قال: قيل لعمر ألا تستخلف؟ قال: «إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني، رسول الله ﷺ» فأثنوا عليه، فقال: «راغب راهب، وددت أني نجوت منها كفافاً، لا لي ولا علي، لا أتحملها حياً ولا ميتاً»(٤).

الثاني: خليفة: كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة البقرة:٣٠]، أي: قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل(٥).

وقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ

(١) ينظر: زاد المسير، (١٤٦/٢).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٧٧/٦).

(٣) رواه البخاري، ح(٤٤١٦)، (٣/٦)، ومسلم، ح(٢٤٠٤)، (١٨٧٠/٤)، واللفظ للبخاري.

(٤) رواه البخاري، ح(٧٢١٨)، (٨١/٩)، ومسلم، ح(١٨٢٣)، (١٤٥٤/٣).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٢١٦/١).

﴿٢٦﴾ [سورة ص:٢٦]، أي: أنك يا داود تدبر أمر العباد من قبلنا بأمرنا، فكأنك خليفة عنا، فاحكم بين الناس بالحق، أي: بالعدل، ولا تتبع الهوى، أي: لا تمل مع ما تشتهي إذا خالف أمر الله عز وجل(١).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ما استخلف خليفة إلا له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله»(٢).

وعن جابر بن سمرة ﷺ قال: دخلت مع أبي على النبي ﷺ، فسمعته يقول: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة»، قال: ثم تكلم بكلام خفي علي، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلهم من قريش»(٣).

الثالث: مُستخْلَف: كما قال تعالى:﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحديد:٧]، أي: بوراثتكم إياه عمن كان قبلكم؛ وهذا يدل على أنها ليست بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة النواب والوكلاء، فاغتنموا الفرصة فيها بإقامة الحق قبل أن تزال عنكم إلى من بعدكم(٤).

الرابع: مُستخْلِف: كما جاء في حديث ابن عمر ﷺ، قال: دخلت على حفصة، فقالت: أعلمت أن أباك غير مُستخلِف؟ قال: قلت: ما كان ليفعل، قالت: إنه فاعل، قال: فحلفت أني أكلمه في ذلك، فسكت حتى غدوت ولم أكلمه، قال: فكنت كأنما أحمل بيميني جبلاً حتى رجعت فدخلت عليه، فسألني عن حال الناس وأنا أخبره، قال: ثم قلت له: إني سمعت الناس يقولون مقالة، فآليت أن أقولها لك، زعموا أنك غير مُستخْلِف، وإنه لو كان لك راعي إبل، أو راعي غنم، ثم جاءك وتركها رأيت أن قد ضيع؛ فرعاية الناس أشد، قال: فوافقه قولي، فوضع رأسه ساعة، ثم رفعه إلي، فقال: «إن الله عز وجل يحفظ دينه، وإني لئن لا أستخلف، فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف، وإن أستخلف فإن أبا بكر قد استخلف»، قال: فوالله، ما هو إلا

(١) ينظر: زاد المسير، (٥٦٩/٢).

(٢) رواه البخاري، ح(٦٦١١)، (١٢٥/٨).

(٣) رواه مسلم، ح(١٨٢١)، (١٤٥٢/٣).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢٣٨/١٧).

أن ذكر رسول الله ﷺ وأبا بكر فعلمت أنه لم يكن ليعدل برسول الله ﷺ أحداً، وأنه غير مُستخلِف(١).

الخامس: خلائف: كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [سورة الأنعام:١٦٥]، أي: أهلك من كان قبلكم من القرون والأمم الخالية واستخلفكم، فجعلكم خلائف منهم في الأرض، تخلفونهم فيها، وتعمرونها بعدهم(٢).

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾ [سورة فاطر:٣٩]، يخبر تعالى عن كمال حكمته ورحمته بعباده، أنه قدر بقضائه السابق، أن يجعل بعضهم يخلف بعضاً في الأرض، ويرسل لكل أمة من الأمم النذر؛ فينظر كيف يعملون، فمن كفر بالله وبما جاءت به رسله، فإن كفره عليه، وعليه إثمه وعقوبته، ولا يحمل عنه أحد، ولا يزداد الكافر بكفره إلا مقت ربه له وبغضه إياه(٣).

السادس: خُلفاء: كما قال تعالى:﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة النمل:٦٢]، أي: جعلكم خلفاء يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله، وأهل كل عصر أهل العصر الأول(٤).

وقال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة الأعراف:٦٩]، أي: خلفتموهم في مساكنهم، أو في الأرض بأن جعلكم ملوكاً بعدهم(٥).

---

(١) رواه مسلم، ح(١٨٢٣)، (٣/١٤٥٥).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (١٢/٢٨٧-٢٨٨).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص(٦٩٠).

(٤) ينظر: التفسير البسيط، (١٧/٢٧٨).

(٥) ينظر: محاسن التأويل، (٥/١١٦).

وقال تعالى:﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٧٤﴾ [سورة الأعراف:٧٤]، يعني: أن الله أهلك عاداً وجعلكم تخلفونهم في الأرض وتعمرونها، وبوأكم يعني: وأسكنكم وأنزلكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ، قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «وفوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»(٢).

وعن المقدام بن معد يكرب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أطيعوا أمراءكم مهما كان، فإن أمروكم بشيء مما لم آتكم به فهو عليهم، وأنتم منه براء، وإن أمروكم بشيء مما جئتكم به، فإنهم يؤجرون عليه، وتؤجرون عليه، ذلكم بأنكم إذا لقيتم ربكم قلتم: ربنا لا ظلم؟، فيقول: لا ظلم، فتقولون: ربنا، أرسلت إلينا رسلاً فأطعناهم، واستخلفت علينا خلفاء فأطعناهم وأمرت علينا أمراء فأطعناهم، فيقول: صدقتم، هو عليهم، وأنتم منه براء»(٣).

رابعاً: آثار الاستخلاف على الفرد والمجتمع والإنسانية.

لقد كرم الله عز وجل الإنسان غاية التكريم، ورفع منزلته ومكانته على مكانة ومنزلة سائر خلقه، وخصه بالأوامر والتكاليف، وجعله مُستخلَفاً في الأرض وفي المال.

والاستخلاف في الأرض هو تمكين الله للإنسان العبادة فيها، وإتاحة العيش فوقها؛ ليقوم بأمانة الاستخلاف وعمران الأرض وإصلاحها والانتفاع بخيراتها، وكذلك الإسناد إليه بأمر القيادة وتدبير مجتمعه، وممارسة ذلك في إطار الضوابط والسنن التي جاء بها الدين؛ وقد أوجب عليه حقوق كالنفع العام، والحفاظ على: المصالح ورعايتها، وإحسان تمثيلها، وكل ذلك من الاستخلاف في الأرض، وذلك كله بمقتضى العهد الذي أخذه الإنسان على نفسه مع خالقه.

---

(١) ينظر: لباب التأويل، (٢/٢٢١).

(٢) رواه البخاري، ح(٣٤٥٥)، (٤/١٦٩)، ومسلم، ح(١٨٤٢)، (٣/١٤٧٠).

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة، ح(١٠٤٨)، (٢/٤٩٩)، والطبراني في الكبير، ح(٦٥٨)، (٢٠/٢٧٨)، والبيهقي في الكبرى، ح(١٦٦٢٦)، (٨/٢٧٤)، وقال الألباني في ظلال الجنة، (٢/٤٩٩): حديث صحيح.

أما آثار الاستخلاف في المال عند الفرد: فإنه ينظم علاقة الفرد بالثروة، ويهذب غريزة التملك لديه؛ فالفرد نائبًا ووكيلاً من الله فيما بين يديه من أموال وثروات، ويجب عليه تنفيذ مراد الله بأداء الزكاة، وفعل الصدقات، وإغاثة الملهوف، والعمل على نفع الخلق، والتعاون مع الآخرين على البر والتقوى؛ فالمال ليس غاية مقصودة لذاتها، وإنما هو وسيلة للوفاء بالواجبات، وتأمين الحاجيات، والانتفاع بالكماليات.

أما آثار الاستخلاف على المجتمع: فأي مجتمع يحافظ على الأوامر والتعاليم، ويلتزم بالشرائع التي جاءت بقيم الاستخلاف، ويحث أفراده على الجهد والإبداع والدأب والمثابرة في العمل، ويدعوهم إلى المحبة ونبذ الكراهية، وينشر التراحم والتعاطف بين أفراده، وتقديم الإيثار على الأنانية، ويأمرهم بالإصلاح في الأرض ويحذرهم من الإفساد فيها؛ فإن ذلك المجتمع يسوده الرخاء، ويظله الأمن، وتغشاه الطمأنينة، ويتحقق التكافل الاجتماعي بين أفراده، ويكون التقارب والتآلف حاضراً بينهم، والشقاق والخلاف مبتعداً عنهم، وتشيع روح التعاون والتضامن المفضي إلى: تحقيق الكفاية بينهم، واجتماع الكلمة عندهم.

أما آثار الاستخلاف على الإنسانية: فالبشر لم يُستعمروا في الأرض ولم يستخلفوا عليها ليفعلوا ما يشاءون دون قيد ولا شرط، وليتركوا ما يشاءون دون حسيب ولا رقيب، إنما استعمرهم الله في الأرض واستخلفهم عليها؛ ليعبدوه وحده لا شريك له، وليطيعوا أمره، وينتهوا عن نهيه، فإذا كان استخلافهم في الأرض قد منحهم بعض الحقوق، فإنه قد حملهم كثيراً من الواجبات، وكلفهم بكثير من الالتزامات.

والمتأمل في حال العالم في وقتنا الراهن، وما يعانيه من آفات اقتصادية :كالركود والتضخم والغلاء، والآفات الاجتماعية: كالفقر والبطالة والفوارق الطبقية، يدرك بأن هذا الوضع هو: حصيلة الابتعاد عن قيم الاستخلاف التي أمر الله بها.

ولقد حدد الإسلام سبل معالجة هذه الأزمات والحد من خطورتها، وأوجد حلاً ناجحاً وعلاجاً نافعاً لها في ظل التعاليم الإسلامية، وفي إطار الضوابط والسنن التي جاء بها الإسلام المتسمة بالعدل والتكامل والشمول والرحمة والعطف.

ومن هذه التعاليم: المحافظة على مبدأ الاستخلاف في الأرض بعمرانها وإصلاحها والانتفاع بخيراتها، ونشر الخير ومجانبة الشر، وإقامة العدل وترك الظلم.

أما الابتعاد عن مضمون هذه القيم، والإخلال بهذه التعاليم؛ فإنه سيؤول بالعالم إلى الدخول في الأزمات، وهدم المنجزات، وتدمير المكتسبات.

والاستخلاف في المال من التعاليم الذي جاء بها الإسلام لخدمة الإنسانية، ومن القيم التي حث عليها لمنفعة البشرية، وأهم هذه التعاليم والقيم: تفعيل المبدأ الذي ينظم علاقة الإنسانية بالثروة، ويهذب غريزة التملك لديهم، ويأمرهن ببذل المال لمستحقيه وإعطائهم إياه لمستفيديه؛ فالمال وسيلة لقضاء المصالح والحاجات لا غاية في حد ذاته، وإن الإخلال بهذه التعاليم والابتعاد عن هذه القيم سيجعل العالم: يعاني الركود، ويكابد الغلاء، ويعيش في الأزمات؛ مما يؤدي إلى زيادة الفقر، وقلة العمل، وكثرة البطالة.

المطلب الثاني: السلام.

أولاً: المراد بالسلام:

السلام لغة: السلامة[١]، والسلام: من أسماء الله تعالى؛ لأنه سلم مما يلحقه من الغير[٢]، والسلام بمعنى التحية[٣]، والسلام: من المسالمة وترك الحرب مأخوذ من سالمته؛ إذا لم تر منه مكروهاً[٤]، وقيل من المسالمة، وهي: المصالحة[٥].

(١) ينظر: العين، (٢٥٦/٧).

(٢) ينظر: تاج العروس، (٢٢/ ٣٧٨) .

(٣) ينظر: غريب الحديث، الخطابي، (٦٩٤/١).

(٤) ينظر: شرح صحيح مسلم، (٧٢/١٦).

(٥) ينظر: لسان العرب، (١٢/ ٢٩٣).

واصطلاحاً: يختلف تعريف السلام في الاصطلاح؛ حسب ورود صيغة السلام في المعنى:

فتعريف السلام بمعنى أنه من أسماء الله تعالى: أي السلامة من جميع العيوب والنقائص؛ لكمالها في: ذاته، وصفاته، وأفعاله(١)، وهو المعظم المنزه عن صفات النقص كلها، وأن يماثله أحد من الخلق، وهو المتنزه عن جميع العيوب، والمتنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال(٢).

وتعريف السلام بمعنى التحية: نشر السلام بين الناس؛ ليحيوا سنته ﷺ، أقله أن يرفع صوته بحيث يسمعه المسلم عليه، فإن لم يسمعه لم يكن آتياً بالسنة(٣).

وتعريف السلام بمعنى المسالمة والمصالحة: مصالحة أهل الحرب على ترك القتال مدة معلومة، بعوض أو غيره، سواء فيهم: من يقر على دينه، ومن لا يقر(٤).

ثانياً: معيار السلام:

معيار السلام بمعنى أنه من أسماء الله تعالى: تعظيمه سبحانه، وتنزيهه من جميع العيوب والنقائص، ففي ذاته: منزه عن كل نقص يتخيله وهم، وفي صفاته: منزه عن كل عيب ونقص، وفي أفعاله: منزه من كل شر، وظلم، وفعل واقع على غير وجه الحكمة.

ومعيار السلام بمعنى التحية: نشره بين الناس؛ لإحياء سنته ﷺ، واتباع هديه ﷺ، وتحصيل الألفة والمحبة بين المسلمين.

ومعيار السلام أو السلم بمعنى المسالمة والمصالحة: مراعاة عدم الاعتداء على المخالف في الدين بحرب أو قتال؛ إذا لم يعتدِ أو يقاتل، والالتزام بالعهد؛ إذا كان بينه وبين المسلمين: صلحاً واتفاقاً، أو كان: معاهداً، أو مستأمناً.

ثالثاً: الدليل عليه من الكتاب والسنة:

جاءت الأدلة بذلك من الكتاب والسنة التي ورد فيها السلام وكانت على لفظين:

أولاً: لفظ السلام وقد ورد على أوجه، هي كالآتي:

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٨/٨٠).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص(٩٤٦).

(٣) ينظر: فتح الباري، (١١/ ١٨) .

(٤) ينظر: بداية المحتاج في شرح المنهاج، ابن قاضي شهبه، (٤/٣١٨).

الأول: اسم من أسماء الله عز وجل: كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٣]، سمى الله نفسه سلاماً؛ لسلامته مما يلحق الخلق من العيب والنقص والفناء، وقيل: معناه ذو السلام، والسلام في صفة الله سبحانه وتعالى: هو الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كل آفة ونقص يلحق المخلوقين، وقد قيل: هو الذي سلم الخلق من ظلمه(١).

وعن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ، أقبل علينا بوجهه، فقال:« إن الله هو السلام، فإذا جلس أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله، والصلوات، والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنه إذا قال ذلك أصاب كل عبد صالح في السماء والأرض، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ثم يتخير بعد من الكلام ما شاء» (٢).

وعنه ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن السلام اسم من أسماء الله وضعه في الأرض، فأفشوا بينكم، فإن الرجل المسلم إذا مر بقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم السلام، فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم وأطيب»(٣).

وعن ثوبان ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ، إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام»(٤).

الثاني: التحية المعروفة، كما قال تعالى:﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٦١]، هذه الآية في دخول الرجل بيت نفسه، والسلام على أهله ومن في بيته، فإذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه(٥).

---

(١) ينظر: زاد المسير، (٤/٢٦٤).

(٢) رواه البخاري، ح(٦٢٣٠)، (٨/٥١)، ومسلم، ح(٤٠٢)، (١/٣٠١).

(٣) رواه البزار في مسنده، ح(١٧٧١)، (٥/١٧٤)، والطبراني في المعجم الكبير، ح(٢٠٣)، (١/١٣٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٩): الإسناد رجاله رجال الصحيح عند البزار والطبراني.

(٤) رواه مسلم، ح (٥٩١)، (١/٤١٤).

(٥) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن، (٣/٣٣٠).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، فأمر الله رسوله ببداءتهم بالسلام، وقيل: معناه: سلمكم الله في دينكم، وقيل: معناه السلامة لكم(١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ﴾ [يونس: ٩-١٠]، أي يحي بعضهم بعضا بالسلام، وقيل: تحية الملائكة لهم بالسلام، وقيل: تأتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا انتهى أحدكم إلى المجلس، فليسلم فإذا أراد أن يقوم، فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة»(٣).

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: « أمرنا النبي ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع: أمرنا باتباع الجنائز، وعيادة المريض، وإجابة الداعي، ونصر المظلوم، وإبرار القسم، ورد السلام، وتشميت العاطس، ونهانا عن: آنية الفضة، وخاتم الذهب، والحرير، والديباج(٤)، والقسي(٥)، والإستبرق(٦)»(٧).

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»(٨).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إياكم والجلوس على الطرقات»، فقالوا: ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: «فإذا أبيتم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقها»،

---

(١) ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، (١٠٨/٢).

(٢) ينظر: معالم التنزيل، (٤١٢/٢).

(٣) رواه أبو داود، ح(٥٢٠٨)، (٥٠٠/٧)، وقال شعيب الأرناؤوط في الحاشية (٧/ ٥٠٠): حديث صحيح.

(٤) الديباج: نوع من الثياب المنسوج ملون ألواناً، وقيل: نوع من الثياب ظاهره وباطنه من الحرير. ينظر: تاج العروس، (٥٤٤/٥)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، (٧٩٣/١).

(٥) القسي: ثياب يؤتي بها من مصر فيها حرير. ينظر: غريب الحديث، أبو عبيد، (٢٢٦/١).

(٦) الإستبرق: لفظة أعجمية معربة، وهي ما غلظ من الحرير. ينظر: النهاية في غريب الحديث، (٤٧/١).

(٧) رواه البخاري، ح(١٢٣٩)، (٧١/٢)، ومسلم، ح(٢٠٦٦)، (١٦٣٥/٣).

(٨) رواه البخاري، ح(١٢)، (١٢/١)، ومسلم، ح(٣٩)، (٦٥/١).

قالوا: وما حق الطريق؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر»(١).

الثالث: السلامة من كل شر، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩١]، أي: سلمت من عذاب الله، ومما تكره؛ لأنك من أصحاب اليمين(٢).

الرابع: الخير، كما قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ [القدر: ٥]، أي: ليلة القدر سلامة وخير كلها لا شر فيها(٣).

الخامس: الثناء الجميل، كما قال تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١١٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١١ ﴾ [الصافات: ١٠٧-١١١]، أي: أمنة من الله في الأرض لإبراهيم أن لا يذكر من بعده إلا بالجميل من الذكر(٤).

وقال تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨١ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۝٨٢ ﴾ [الصافات: ٧٨-٨٢]، يعني بالسلام الثناء الحسن، وقيل: تركنا عليه الذكر الجميل إلى يوم القيامة(٥).

وقال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١٢٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٢١ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٢٢ ﴾ [الصافات: ١٢٠-١٢٢]، أي: أبقينا لهما من بعدهما ذكراً جميلاً وثناءً حسناً(٦).

السادس: الجنة، كما قال تعالى: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٢٧ ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وسميت الجنة دار السلام؛ لسلامتها من كل عيب وآفة وكدر، وهم وغم، وغير ذلك من المنغصات(٧).

ثانياً: لفظ السلم ورد على أوجه، هي كالآتي:

---

(١) رواه البخاري، ح(٢٤٦٥)، (٣/١٣٢)، ومسلم، ح(٢١٢١)، (٣/١٦٧٥).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (٢٣/١٦٣).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢٠/١٣٤).

(٤) ينظر: تفسير الطبري، (٢١/٩١).

(٥) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن، (٣/٥٢٧).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٧/٣٦).

(٧) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص(٢٧٣).

الأول: بكسر السين وسكون اللام ويقصد به الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، أي: كونوا على ملة واحدة، واجتمعوا على الإسلام واثبتوا عليه. فالسلم هنا بمعنى الإسلام(١).

الثاني: بفتح السين وسكون اللام ويقصد به الصلح، كما قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠ ﴾ [النساء: ٩٠]، يعني الانقياد والصلح، فانقادوا واستسلموا فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً، يعني: بالقتل والقتال(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١ ﴾ [الأنفال: ٦١]، أي: وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحرب: إما بالدخول في الإسلام، وإما بإعطاء الجزية، وإما بموادعة، ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح، فاجنح لها، أي: فمل إليها، وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوك به(٣).

الثالث: بفتح السين وفتح اللام ويقصد به الاستسلام والانقياد، كما قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨ ﴾ [النحل: ٢٨]، يعني أنهم استسلموا وانقادوا لأمر الله الذي نزل بهم، وقالوا ما كنا نعمل من سوء يعني: شركاً، وإنما قالوا: ذلك من شدة الخوف(٤).

وقال تعالى: ﴿ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٨٧ ﴾ [النحل: ٨٧]، يعني المشركين ألقوا إلى الله يومئذ السلم، واستسلموا وانقادوا لحكمه فيهم، ولم تغن عنهم آلهتهم شيئاً، وضل وزال عنهم ما كانوا يفترون من أنها تشفع لهم(٥).

رابعاً: آثار السلام على الفرد والمجتمع والإنسانية:

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢٢/٣).

(٢) ينظر: لباب التأويل، (٤٠٨/١).

(٣) ينظر: تفسير الطبري، (٤٠/١٤).

(٤) ينظر: لباب التأويل، (٧٤/٣).

(٥) ينظر: معالم التنزيل، (٩٢/٣).

السلام بكلا نوعيه الكلامي والفعلي له آثار كبيرة وفوائد عظيمة للفرد والمجتمع والوطن والإنسانية.

فالسلام يمنح الفرد الأمان والقوة اللازمة؛ من أجل تخطي الصعاب التي تواجهه في حياته أو حتى في تعامله مع الآخرين، وعندما يعم السلام قلب الفرد تمتلئ جوانبه بالمحبة والتسامح، ويحيا بسعادة وهناء وراحة، ومن خلال الرضا والقناعة: تستريح النفس، ويهدأ البال.

والسلام أمان الله في الأرض، وهو تحية المؤمنين في الجنة، وتحية أهل الإسلام في الدنيا، وطريق المحبة والتعارف بين أفراد المجتمع، وهو ضروري؛ لتحقيق وحدة المجتمع، وحفظ العلاقات من التمزق والتشرذم والتفتت، وصون الصلات الاجتماعية من الانقطاع والضعف والوهن، وتحقيق المصالح ودفع المفاسد، وزيادة التراحم وتأليف القلوب.

وبالسلام يتحقق السلم المجتمعي فتصبح حالة من الوئام والانسجام والتألف بين المجتمع وأفراده؛ فيؤدي إلى ترابطهم وتآزرهم، وشعور الجميع بمسئولياتهم المشتركة تجاه حماية سلمهم الاجتماعي، ونبذهم الكراهية والعداوة والحقد فيما بينهم، والتزامهم باحترام تطبيق العمل بقواعد ومبادئ السلم الاجتماعي؛ لتفضي الى حالة من الهدوء، والأمن والطمأنينة، والتفاهم المشترك.

وفي إشاعة السلام بين أفرد المجتمع تنشأ عرى الألفة والمودة، وتحفظ علاقات التقارب والتواصل؛ فيعمر ويصلح المجتمع، وتزدهر الحياة في الوطن، وتتحقق التنمية والرخاء، وتتهيأ الفرص العظيمة لأبناء الوطن للمشاركة في بناء وطنهم ورفعة شأنه بين الدول.

والسلام هو الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الحياة في كل الأمم؛ فهو سبيل الاستقرار والنماء والرخاء، وقد خلق الله تعالى الإنسان على فطرة السلام، وأي تناقض مع تلك الفطرة إنما هو شر وهلاك للفرد والمجتمع والأمة، وبانعدام السلام وقيام الحروب والفتن يقضي على كل أمل في التقدم والرخاء وتحقيق الحياة الكريمة.

والاهتمام بقيم السلام يؤدي إلى التعايش ونبذ الحروب واتقاء شر الفتن، والتعامل المبني على المحبة، والحريص على عدم الضرر بالآخرين.

وقد جاء الإسلام بالسلام بين المسلمين وغيرهم، وأسس قواعد في التعامل معهم قائمة على العدل، وعدم الظلم، وعدم الاعتداء على الذميين والمستأمنين والمعاهدين، ومن كان له عهد مع المسلمين.

ولقد أدى تطبيق المسلمين لقيم السلام مع الغير إلى دخول الناس في دين الله أفواجاً؛ لما رأوه أخلاق المسلمين الحسنة، ولما لمسوه من أقوالهم وأعمالهم الصادقة.

المطلب الثالث: الجمال.

أولاً: المراد بالجمال:

الجمال لغةً: ضد القبح(١)، والتجمل: التزين وإظهار الزينة بالثياب وفي الحال، والجميل: الحسن الصورة(٢)، والجمال يكون في الفعل والخلق(٣)، ويقع على الصورة واللمعان: ومنه حديث: «إن الله جميل يحب الجمال»(٤)، أي حسن الأفعال كامل الأوصاف الحسن(٥).

واصطلاحاً: يختلف التعريف الاصطلاحي للجمال بحسب نوع الجمال سواء كان: المعنوي، أم الحسي.

فتعريف الجمال المعنوي أو الباطني، قيل هو: ما يشتهر ويرتفع به الإنسان من: الأفعال، والأخلاق، ومن كثرة المال والجسم(٦).

وقيل هي: الأفعال الملائمة لمصالح الخلق، القاضية لجلب المنافع فيهم، وصرف الشر عنهم(٧).

وقيل هو: عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر..، فإن كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً؛ سميت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة؛ سميت الهيئة خلقاً سيئاً(٨).

ولعل التعريف الأخير هو الأشمل والأنسب في تعريف الجمال المعنوي.

وتعريف الجمال الحسي أو الظاهري، قيل هو: أمر يدركه البصر، ويلقيه إلى القلب متلائماً؛ فتتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك، ولا نسبته لأحد من البشر(٩).

وقيل هو: الهيئة التي لا تنبو الطباع السليمة عن النظر إليها(١٠).

---

(١) ينظر: جمهرة اللغة، (٤٩١/١).

(٢) ينظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ابن قرقول، (١٣٧/٢).

(٣) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، (٤٥٠/٧).

(٤) رواه مسلم، ح(٩١)، (١/ ٩٣).

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، (٢٩٩/١).

(٦) ينظر: الفروق، العسكري، ص(٢٦٢).

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (٧١/١٠).

(٨) ينظر: التعريفات، ص(١٠٤).

(٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (٧١/١٠).

(١٠) ينظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي، ص(١٩٩).

وقيل هو: تناسب الخِلقة، واعتدالها، واستوائها(١).

ولعل التعريف الأخير هو الأنسب في تعريف الجمال الظاهري.

ثانياً: معيار الجمال:

معيار الجمال المعنوي أو الباطني: هو التخلق بالأخلاق الفاضلة من: العلم، والحكمة، والعدل، والعفة، والعقل، والجود، وإرادة الخير لكل أحد، ومعيار الجمال الحسي أو الظاهري: هو التجمل بما يعتبره الناس جميلاً وحسناً من: الجمال والزينة، ومن إظهار النعمة في الملبس والمركب وغيره، وكل ذلك ما كان فيه: رضى لله، أو إعانه على طاعته، أو استجابة لأوامره.

ثالثاً: الدليل عليه من الكتاب والسنة:

جاءت الأدلة عن الجمال بألفاظ وعبارات مختلفة وباشتقاقات متعددة، منها:

١ – لفظ الجمال: كما قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ ﴾ [النحل: ٦]، أي: زينة، حين تريحون، أي: حين تردونها بالعشي من مراعيها إلى مباركها التي تأوي إليها(٢).

وعن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر(٣) الحق، وغمط(٤) الناس»(٥).

وعن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال، يحب إذا أنعم على عبد نعمة أن يرى أثر النعمة عليه ، ويبغض البؤس(٦) والتباؤس(٧)»(٨).

---

(١) ينظر: أحكام تجميل النساء، أزهار المدني، ص(٥٦).

(٢) ينظر: معالم التنزيل، (٣/٧٢).

(٣) البطر: هو أن يتجبر عند الحق فلا يراه حقاً، وقيل هو: أن يتكبر عن الحق فلا يقبله. ينظر: النهاية في غريب الحديث، (١/١٣٥).

(٤) الغمط: الاستهانة والاستحقار، وغمط الناس: الاحتقار لهم والازراء بهم ينظر: النهاية في غريب الحديث، (٣/٣٨٧)، والصحاح، (٣/١١٤٧).

(٥) رواه مسلم، ح(٩١)، (١/٩٣).

(٦) البؤس: إظهار الخضوع والفقر عند الناس. ينظر: النهاية في غريب الحديث، (١/٨٩).

(٧) التباؤس: إظهار التمسكن والشكاية؛ مما يؤدي لاحتقار الناس له، وازدرائهم إياه. ينظر: فيض القدير، (١/٢٣٥).

(٨) رواه البيهقي في شعب الإيمان، ح(٥٧٩٠)، (٨/٢٦٢)، وقال الألباني في صحيح الجامع، (١/٣٥٩): صحيح.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك»(١).

٢- لفظ الجميل: كما قال تعالى:﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٨]، فيه وجهان: أحدهما: أنه بمعنى أن من الجميل أن أصبر، والثاني: أنه أمر نفسه بصبر جميل، وفي الصبر الجميل وجهان: أحدهما: أنه الصبر الذي لا جزع فيه، الثاني: أنه الصبر الذي لا شكوى فيه(٢).

وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٨]، السراح الجميل هو المفارقة الجميلة، وذلك من غير تعنيف ولا أذى(٣).

وقال تعالى:﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾ [المزمل: ١٠]، أي: اعتزلهم اعتزالاً حسناً لا جزع فيه(٤).

٣- لفظ الأحسن: كما قال تعالى:﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [التغابن: ٣]، أي: فخلقكم في أحسن الأشكال، ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم(٥).

وقال تعالى:﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة: ٧]، أي: أنه أتقن وأحكم خلق مخلوقاته، فبعض المخلوقات وإن لم تكن حسنة في نفسها، فهي متقنة محكمة(٦).

وقال تعالى:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [التين: ٤]، في أعدل خلق، وأحسن صورة(٧).

---

(١) رواه البخاري، ح(٥٠٩٠)، (٧/٧)، ومسلم، ح(١٤٦٦)، (١٠٨٦/٢).

(٢) ينظر: النكت والعيون، (١٦/٣).

(٣) ينظر: تفسير السمعاني، (٢٧٧/٤).

(٤) ينظر: التفسير البسيط، (٣٧٠/٢٢).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (١٥٦/٧).

(٦) ينظر: فتح القدير، (٢٨٨/٤).

(٧) ينظر: تفسير الطبري، (٥٠٧/٢٤).

وعن أنس ﷺ أنه أهدي لرسول الله ﷺ جُبَّة[١] من سُندس[٢]، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها، فقال: «والذي نفس محمد بيده إن مناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا»[٣].

٤- لفظ الحُسْن: كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤]، أي: حسن المرجع والثواب[٤].

وقال تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، يعني ليس لك أن تطلق أحد من نسائك، وتنكح بدلها أخرى، ولو أعجبك جمالها[٥].

وعن أنس ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ ربعة[٦] ليس بالطويل ولا بالقصير، حسن الجسم، وكان شعره ليس بجعد ولا سبط، أسمر اللون، إذا مشى يتكفأ[٧]»[٨].

٥- لفظ النضرة: كما قال تعالى: ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المطففين: ٢٤]، يعني: حسنه وبريقه وتلألؤه[٩].

وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٣]، أي: حسنة بهية، لها رونق ونور، مما هم فيه من نعيم القلوب، وبهجة النفوس، ولذة الأرواح[١٠].

---

(١) الجُبة: بالضم ثوب من المقطعات يلبس، وقيل: ثوب سابغ واسع الكمين مشقوق المقدم يلبس فوق الثياب والدرع. ينظر: تاج العروس، (١١٩/٢)، المعجم الوسيط، (١٠٤/١).

(٢) السندس: قيل: هو رقيق الديباج، قيل: هو الرفيع من الحرير والديباج. ينظر: النهاية في غريب الحديث، (٣٢٦/٤)، لسان العرب، (٣٤٣/١٠).

(٣) رواه البخاري، ح(٣٢٤٨)، (١١٨/٤)، ومسلم، ح(٢٤٦٩)، (١٩١٦/٤).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٢٢/٢).

(٥) ينظر: لباب التأويل، (٤٣٣/٣).

(٦) ربعة أي: من غير طول بائن ولا قصر شائن. ينظر: غريب الحديث، الخطابي، (٢١٨/١).

(٧) التكفي: هو التمايل إلى قدام. ينظر: لسان العرب، (١٤٢/١).

(٨) رواه الترمذي، ح(١٧٥٤)، (٢٥٨/٣)، وأبو يعلى في مسنده، ح(٣٨٣٢)، (٤٤٥/٦)، والبغوي، ح(٣٦٤٠)، (٢٢٠/١٣)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٩) ينظر: تفسير الطبري، (٢٩٥/٢٤).

(١٠) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص(٨٩٩).

٦- لفظ الخير: كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٢١]، فالتفضيل هنا على سبيل الاعتقاد، لا على سبيل الوجود؛ لأن نكاح المؤمنة يشتمل على منافع أخروية، بينما نكاح المشركة الحرة يشتمل على منافع دنيوية(١).

وقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٦]، لما ذكر اللباس الحسي نبه مرشداً إلى اللباس المعنوي، وهو الخشوع، والطاعة والتقوى، وذكر أنه خير من هذا وأنفع(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [القصص: ٦٠]، أي: أفضل وأدوم، يريد الدار الآخرة وهي الجنة(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ : أي النساء خير؟ قال: «التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره»(٤).

٦- لفظ الزينة: كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحجر: ١٦]، أي: زينا السماء بالكواكب لمن نظر إليها وأبصرها(٥).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾ [الأعراف: ٣٢]، أي: ما يتزين به الإنسان من ملبوس أو غيره من الأشياء المباحة كالمعادن التي لم يرد نهي عن التزين بها..، فلا حرج على من لبس الثياب الجيدة الغالية القيمة إذا لم يكن مما حرمه الله، ولا حرج على من تزين بشيء من الأشياء التي لها مدخل في الزينة ولم يمنع منها مانع شرعي، ومن زعم أن ذلك يخالف الزهد فقد غلط غلطاً بيناً(٦).

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (٥٩/٤).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٥٤٨/١).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣٠٢/١٣).

(٤) رواه النسائي في الصغرى، ح(٣٢٣١)، (٦٨/٦)، وأحمد في مسنده، ح(٧٤٢١)، (٣٨٣/١٢)، والحاكم في المستدرك، ح(٢٦٨٢)، (١٧٥/٢)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط مسلم، وقال الأرناؤوط في حاشية المسند، (٣٨٤/١٣): إسناده قوي.

(٥) ينظر: تفسير الطبري، (٧٧/١٧).

(٦) ينظر: فتح القدير، (٢٢٨/٢).

وقال تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف: ٤٦]، أي: أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا، وكل ما كان زينة الحياة الدنيا، فهو سريع الانقضاء والانقراض، ومن اليقين البديهي، أن ما كان كذلك، فإنه يقبح بالعاقل أن يفتخر به، أو يقيم له في نظره وزناً(١).

٧- لفظ الفتنة: كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [التغابن: ١٥]، يعني الابتلاء والامتحان الذي يظهر ما في النفس من اتباع الهوى أو تجنبه، وأن الله عنده أجر عظيم خير من الأموال والأولاد(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه: ١٣١]، أي: لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك، ونبتليهم؛ فإن ذلك فان زائل، وغرور وخدع تضمحل(٣).

٨- لفظ البهجة: كما قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الحج: ٥]، البهجة: حسن الشيء ونضارته، والبهيج بمعنى المبهج: وهو الحسن الصورة الذي تمتع العين برؤيته(٤).

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النمل:٦٠]، البهجة الزينة والحسن، يبهج به من رآه(٥).

٩- لفظ المسرة: كما قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ٦٩]، أي: تدخل عليهم السرور إذا نظروا إليها إعجاباً بها واستحساناً للونها(٦).

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، (٥٠١/١٢).

(٢) ينظر: زاد المسير، (٢٠٤/٢).

(٣) ينظر: تفسير الطبري، (٤٠٣/١٨).

(٤) ينظر: التفسير البسيط، (٢٧٤/١٥).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢٢١/١٣).

(٦) ينظر: فتح القدير، (١١٥/١).

١٠- لفظ اللذة: كما قال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ۝٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۝٤٧ ﴾ [الصافات: ٤٥-٤٧]، أي طعمها طيب كلونها، وطيب الطعم دليل على طيب الريح(١)، واللذيذ: كل شيء مستطاب(٢).

وقال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٧١ ﴾ [الزخرف: ٧١]، أي: تشتهيه الأنفس، ونسب اللذة إلى الأعين؛ لأن المناظر الحسنة تلذ النفوس، فنسب اللذة إلى الأعين؛ لأن نسبتها كانت إليها أليق(٣).

رابعاً: آثار الجمال على الفرد والمجتمع والإنسانية.

الجمال ليس جمال الجسد والمنظر فحسب، ولكنه أيضًا في المعنى الذي يقوم في النفس؛ فيبدو من السلوك والسمت في الهيئة من: صدق، وإخلاص، واستقامة في التصرف، وإذا جملت الأخلاق والروح: حسنت السيرة، وصلحت المسيرة؛ فطاب للفرد العيش، وابتسمت له الحياة، وتفاعل معها بإيجابية وذوق رفيع.

أما آثار الجمال على المجتمع: فالاهتمام بالأشياء الجميلة التي تبعث البهجة والسرور، والتخلق بالجمال الأخلاقي من الطاعة والتقوى والإيثار ورغبة الخير من قبل الفرد في مجتمعه؛ ينشر به التآلف والتآزر في هذا المجتمع، ويكون معيناً للتقرب إلى الناس وتلمس احتياجاتهم، ومعرفة همومهم.

والجمال أيضاً يساعد على الإبداع والابتكار بين أفراد المجتمع؛ لأنه يحث على أن يبذل الفرد الطاقة القصوى في التدريب والتأهيل؛ ليكمل الجمال الباطن بالتمكن العلمي والمعرفي، والجمال الظاهر بالإخلاص والاتقان فيما يقوم به، وهذا كله يعود للمجتمع بالمكاسب الكثيرة والمنافع العظيمة في مجالات الحياة المختلفة، ومناحيها المتنوعة.

أما آثار الجمال على الإنسانية: فللجمال قيمة حضارية، وفائدة عالمية؛ فبث قيم الجمال تنشر الخير بين البشر، وتؤسس المثل العليا في التعامل مع الغير من باب الاحترام، وتساعد على العمل الجاد والبذل المتقن في التطوير والإبداع، ولأهمية قيمة الجمال في المجتمعات الإنسانية؛

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (١٣/٧).

(٢) ينظر: فتح القدير، (٤٥١/٤).

(٣) ينظر: تفسير السمعاني، (١١٦/٥).

فقد كانت مكانته محل تقدير لدى سائر الأمم والحضارات عبر التاريخ، وكانت الأخلاق العالية والتصرفات الواعية مضرب المثل في: تقدم الأمم، وعلو شأنها.

الفصل الثاني: خصائص الإسلام، وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: الربانية،** مفهومها، أهميتها، آثارها.
- **المبحث الثاني: الوسطية،** مفهومها، أهميتها، آثارها، جهود العلماء في ترسيخ الوسطية ومكافحة الأفكار المنحرفة.
- **المبحث الثالث: العالمية،** مفهومها، أهميتها، آثارها.
- **المبحث الرابع: السماحة واليسر،** مفهومها، أهميتها، آثارها.

الفصل الثاني: خصائص الإسلام.

المبحث الأول: الربانية.

أولاً: مفهوم الربانية:

الربانية لغة: الراء والباء يدل على أصول منها إصلاح الشيء والقيام عليه. فالرب: هو المالك، والخالق، والرب: هو المصلح للشيء، والله جل ثناؤه الرب؛ لأنه مصلح أحوال خلقه(١)، وقيل الربانية نسبة إلى الرب (٢)، وزادوا ألفاً ونوناً في الرباني؛ إذ أرادوا تخصيصاً بعلم الرب دون غيره (٣)، وقيل: مأخوذ من التربية(٤).

واصطلاحًا: الاستعمال الاصطلاحي للربانية لا يخرج عن معناها اللغوي ولا يختلف كثيراً عنه، وقد قيل في تعريف كلمة الرباني ما يلي:

قيل هي صفة: للعالم الحكيم التقي لله، الجامع إلى العلم والفقه: البصر بالسياسة والتدبير، والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم(٥).

وقيل هي صفة: للعالم الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره؛ وكأنه يقتدي بالرب سبحانه في تيسير الأمور(٦).

وقيل هي صفة: للعالم الراسخ في العلم والدين، أو العالي الدرجة في العلم(٧).

وقيل هي صفة: للعلماء المتصدين لنفع الناس، الذين مَنَّ الله عليهم بالعلم والحكمة(٨).

ولعل التعريف الأول هو الأنسب في تعريف الربانية.

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، (٢/٣٨٢-٣٨٢).

(٢) ينظر: لسان العرب، (١/٨٧).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة، (١٥/١٢٩).

(٤) ينظر: التفسير البسيط، (٥/٣٨٢).

(٥) ينظر: تفسير الطبري، (٦/٥٤٤).

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢/٧٠).

(٧) ينظر: تاج العروس، (٢/٤٦١).

(٨) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص(٢٣٧).

ثانياً: أهمية الربانية:

جعل الله للعلماء الربانيين أهمية ومكانة في الإسلام، وهذه الأهمية تتلخص في أمور منها ما يلي:

١- الحكم بشرع الله وعدم تغييره: فمن وظيفة الرباني الدخول في قضايا الناس وشؤونهم الخلافية، والحكم بشرع الله؛ إذا أوكلت له هذه المهمة من قبل ولي أمره، مع الحرص على أن يكون حكمه غير مخالف للكتاب والسنة، قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ ﴾ [المائدة:٤٤]، أي: يحكم الربانيون بحكم كتاب الله تعالى الذي سألهم أنبياؤهم أن يحفظوه من التغيير(١)، ولم يختص بالحكم بها الأنبياء بل ويحكم بها الربانيون بما استحفظوا من كتاب الله، أي: بسبب الذي استودعوه من كتاب الله بأن يحفظوه من: التغيير والتبديل، وأن يقضوا بأحكامه(٢).

٢- النصيحة للناس: فقد وصفهم الله بما يفيد عنايتهم بحجز المجتمع عن مخالفة الشريعة أو اقتراف المعاصي والذنوب، فقال تعالى:﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣ ﴾ [المائدة:٦٣]، أي: هلاَّ ينهاهم العلماء عن المعاصي التي تصدر منهم؛ ليزول ما عندهم من الجهل، وتقوم حجة الله عليهم، فإن العلماء عليهم أمر الناس ونهيهم، وأن يبينوا لهم الطريق الشرعي، ويرغبونهم في الخير ويرهبونهم من الشر(٣).

٣- تعليم الناس: وصفهم الله بالتعليم والعمل بما علموا به، فقال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾ [آل عمران:٧٩]، أي: ليكن هديكم في التعليم هدي العلماء والحكماء؛ لأن العالم إنما يستحق هذا الاسم إذا عمل بعلمه(٤).

قال ابن الأعرابي ﷺ: لا يقال للعالم رباني حتى يكون عالماً معلماً، ويقال: هو العالي الدرجة في العلم(٥).

---

(١) ينظر: روح المعاني، (٣/٣١٣).

(٢) ينظر: محاسن التأويل، (٤/١٤٤).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص(٢٣٧).

(٤) ينظر: زاد المسير، (١/٢٩٩).

(٥) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (١/١٦٢).

٤- الصبر على البلاء: من صفات الربانيين الصبر على البلاء، وتحمل المشاق في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦]، الوهن: الانكسار بالخوف، والضعف: نقصان القوة، والاستكانة: الخضوع، ومعناه: فلم يهنوا بالخوف، ولا ضعفوا بنقصان القوة، ولا استكانوا بالخضوع(١)، وقيل: ما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت أبدانهم، ولا استكانوا، أي: ذلوا لعدوهم، بل صبروا وثبتوا، وشجعوا أنفسهم(٢).

ثالثاً: آثار الربانية.

هناك أثار للربانية ومتى ما اتصف المسلم بصفات الربانية؛ فإن هذه الآثار تظهر عليه وعلى تصرفاته، ومن هذه الآثار ما يلي:

١- مراقبة الله وخشيته: من آثار الربانية استشعار مراقبة الله، والوجل والإنابة عند ذكره، والخشوع والخضوع عند التفكر في عظمته، فإذا عظمت خشية الله؛ ظهرت علامات في السلوك، وآثار في التعاملات توافق القلب الحي: كالمسارعة دومًا للخيرات، والمبادرة إلى فعل الواجبات والابتعاد عن المنهيات، والسعي إلى كل عمل فيه مصلحة الدين أو نفع للعباد.

٢-صلاح القلب وطمأنينة النفس: الربانية تورث في النفس الراحة حين لا يرتاح الناس، والسكينة حين يفزع الناس، والطمأنينة حين يقلق الناس، والأمن حين يخاف الناس، ولذلك؛ فالربانية هي الصلاح للقلب والطمأنينة للنفس؛ فيكون القلب مُطهَّرٌ من الآفات والأمراض المفسدة له: كالحسد والغل والعجب والرياء والشح، والنفس مطمئنة من الهموم والأحزان، سالمة من الشبهات والشهوات، مرتاحة من الوسوسة والتخيلات.

٣-رجاحة العقل ورشده: العقل مناط التكليف في الإسلام؛ ولذلك فالربانية حفظت للعقل طاقته من أن تبدد فيما لا فائدة منه، وأطلقت قدراته في الاجتهاد والاستنباط من الكتاب والسنة، والتفكير والإبداع في شتى العلوم، أما الذي ليس للعقل فيه مجال فقد نُهي عن الخوض فيه أو التطرق إليه، بل يلزم فيه بالوقوف عند نصوص الوحي الثابتة؛ حتى يسلم العقل من الانحراف عن الحق وطريق الصواب، وتُحفظ طاقته من التبدد فيما لا فائدة منه أو قدرة عليه.

---

(١) ينظر: النكت والعيون، (١/٤٢٨).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص(١٥١).

٤-توافق الفطرة والعقيدة: من آثار الربانية تحقيق التوافق بين الفطرة التي أودعها الله في المخلوق، وبين العقيدة التي ارتضاها الله له؛ فالفطرة السوية تهدي إلى أصول التوحيد والإيمان؛ لأن الله تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره، وقلوب بني آدم مفطورة على قبول الإسلام وإدراك الحق، مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه.

٥-سمو الأخلاق ورفعتها: الربانية تحث على سمو الأخلاق ورفعتها؛ فالأفعال تكون مصداقًا للأقوال؛ فلا كذب فيها ولا تدليس، ولا نفاق فيها أو تلبيس، كما تحث الربانية على التحلي بالصفات الحميدة والأفعال السديدة في التصرف والتعامل: كالإحسان إلى الوالدين وبرهما، والتلطف مع الأهل والأقرباء والأصدقاء والجيران، والعطف على المسكين والمحتاج، والرحمة للصغير، والتوقير للكبير، والاهتمام بقضاء مصالح الناس، والسعي في حاجاتهم.

المبحث الثاني: الوسطية.

أولاً: مفهوم الوسطية:

الوسطية لغة: الواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه(١)، ويقال: وسط أي: بين الجيد والرديء، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، قال بعضهم: أي عدلاً، وقال بعضهم: خياراً، واللفظان مختلفان لكن المعنى واحد؛ لأن العدل خير، والخير عدل(٢).

واصطلاحاً: الاستعمال الاصطلاحي للوسطية لا يخرج عن معناها اللغوي؛ إذ بينهما ارتباط وثيق؛ فهي تعني: الاعتدال والتوازن بين أمرين أو طرفين.

وقد قيل في تعريفها: التوسط بين الإفراط والتفريط(٣).

وقيل: الأخذ بما شرع الله من غير إفراط ولا تفريط، وغلو وتقصير، وزيادة ونقصان(٤).

وقيل: من الوسط وهو العدل والخيار، والزيادة على ذلك إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكلاهما مذموم، والفضيلة في الوسط(٥).

ولعل التعريف الأخير هو الأنسب في تعريف الوسطية.

ثانياً: أهمية الوسطية:

تظهر أهمية الوسطية في الإسلام في الأمور التالية:

١- أنه المنهج الذي ارتضاه الله تعالى لأمة رسوله ﷺ، فقد خص الله تعالى به أمته ﷺ؛ ليكونوا شهداء على الناس يوم القيامة، ويشهدون للأنبياء في تبليغهم الرسالة، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ آل عمران: ١١٠]، ومعنى الآية: خطاب الأمة بأنهم خير أمة أخرجت للناس، فلفظ أمة، على هذا التأويل اسم جنس كأنه قيل لهم: كنتم خير الأمم، ويؤيد هذا التأويل كونهم شهداء على الناس(٦).

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، (١٠٨/٦).

(٢) ينظر: تاج العروس، (١٦٧/٢٠).

(٣) ينظر: تفسير الطبري، (١٤٢/٣).

(٤) ينظر: إغاثة اللهفان (١٨٢/١).

(٥) ينظر: تفسير المراغي، (٤/٢).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيه، (٤٨٩/١).

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فهم خير الأمم وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإراداتهم ونياتهم؛ وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل على أممهم يوم القيامة، والله تعالى يقبل شهادتهم عليهم، فهم شهداؤه؛ ولهذا نوه بهم، ورفع ذكرهم، وأثنى عليهم(١).

والسبب الذي جعل أتباع هذه الأمة شهداء يوم القيامة: أن هذه الأمة وسط بين الأمم التي تميل إلى الغلو والإفراط، والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك. فمن الأمم من غلا في المخلوقين وجعل لهم من صفات الخالق وحقوقه ما جعل، ومنهم من جفا الأنبياء وأتباعهم حتى قتلهم ورد دعوتهم، وهذه الأمة آمنت بكل رسول أرسله الله، واعتقدت رسالتهم، وعرفت مقاماتهم الرفيعة التي فضلهم الله بها، ولم يغلوا في أحد منهم، ومن الأمم من أحلت كل طيب خبيث، ومنهم من حرم الطيبات غلوًا ومجافاة(٢).

٢- أن فيها مراعاة الأحوال والمتغيرات: سواء كانت متعلقة بالأفراد، أو المجتمعات؛ انطلاقاً من قوله تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، أي: إلا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها(٣)، وقيل معناه: أن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها فلا يتعبدها بما لا تطيق(٤).

فالوسطية والسنة لا تكلف العباد ما ليس في وسعهم ومقدورهم، وهي تراعي اختلاف الأحوال والأزمنة؛ ولذلك كانت صالحة لكل زمان ومكان.

٣- أنها تراعي القدرات والإمكانات: فالوسطية مؤثرة في حياة الناس ومراعية لقدراتهم، وقد جاءت الأدلة الدالة على هذه الوسطية، قال تعالى:﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]، أي: دخل في طاعتكم وكان بقوة جهدكم تحت مقدوركم وطاقتكم(٥).

(١) ينظر: لوامع الأنوار، (٣٤٨/٢).

(٢) ينظر: التنبيهات اللطيفة، السعدي، ص(٦٦).

(٣) ينظر: معالم التنزيل، (٤٠٢/١).

(٤) ينظر: لباب التأويل، (٢٢٠/١).

(٥) ينظر: نظم الدرر، البقاعي، (٣١٤/٨).

ومن ذلك أن الشريعة أوجبت على الرجل ما لم يوجبه على المرأة، وأوجبت أيضاً على العالم ما لا يوجبه على الجاهل، وأوجبت على الحاكم ما لا يوجب على آحاد الرعية، وهكذا نجد التشريع يناسب قدرات الناس وإمكاناتهم.

٤- أنها مبنية على التيسير والتخفيف: فقد اهتمت الوسطية بمراعاة التيسير والتوسعة على الناس، ورفع الضيق والحرج والمشقة.

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة(١) والروحة(٢) وشيء من الدُلجة(٣)»(٤)، والمراد بالحديث: الحث على ملازمة الرفق في الأعمال، والاقتصار على ما يطيق العامل ويمكنه المداومة عليه، وأن من شادّ الدين وتعمق؛ انقطع، وغلبه الدين وقهره(٥).

وعن عائشة ﷺ أنها قالت: «ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه»(٦).

٥- أنها تعصم من الفتن، فالوسطية منهج معتدل وأبعد عن الفتن ماظهر منها وما بطن، وهو ضد الغلو والتفريط؛ إذ أن الفتن إنما تنشأ من المبالغة والمجاوزة، سواء كانت في طرف الغلو أو في طرف الجفاء، فما من فتنة وقعت إلا وسببها الغلو ومجاوزة الحد، والبعد عن التوسط والاعتدال الذي هو السنة.

فعن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إياكم والغلو، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»(٧).

---

(١) الغدوة: من الغدو، وهو سير أول النهار. ينظر: النهاية في غريب الحديث، (٣/٣٤٦).

(٢) الروحة: من الروح وهو السير من الزوال إلى آخر النهار. ينظر: شرح مسلم للنووي، (١٣/٢٦).

(٣) الدُلجة: قيل أن ذلك يستعمل في سائر الليل كله، وقيل: أدُّلج بتشديد الدال: سار آخر الليل، وأدُلج بتخفيفها: سار الليل كله. ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، (١/٢٥٧).

(٤) رواه البخاري، ح(٣٩)، (١/١٦).

(٥) ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، (٢/٨٦-٨٧).

(٦) رواه البخاري، ح(٣٥٦٠)، (٤/١٨٩)، ومسلم، ح(٢٣٢٧)، (٤/١٨١٣).

(٧) رواه والنسائي، ح(٣٠٥٧)، (٥/٢٦٨)، وابن ماجه، ح(٣٠٢٩)، (٤/٢٢٨)، وأحمد في مسنده، ح(٣٢٤٨)، (٥/٢٩٨)، وابن حبان في صحيحه، ح(٣٨٧١)، (٩/١٨٣)، وقال الألباني في الصحيحة، (٥/١٧٧): صحيح.

والفتن التي ظهرت في تاريخ هذه الأمة مروراً بخروج الخوارج، والفرق الضآلة إلى عصرنا هذا إنما حدثت؛ بسبب الغلو والجفاء، والبعد عن وسطية الدين.

ثالثاً: آثار الوسطية:

للوسطية عدة آثار وأهم آثارها ما يلي:

أ – الاستقامة: وهي كلمة جامعة، آخذه بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد(١).

والاستقامة حالة لا تحدث إلا بالتزام الوسطية التي لا انحراف فيها ولا عوج، وقد أمر الله بالاستقامة ولزومها، فقال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ ﴾ [هود: ١١٢]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ ﴾ [فصلت: ٣٠].

كما حثت السنة على لزوم الاستقامة والثبات عليها، فعن سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك، قال: «قل: آمنت بالله، فاستقم»(٢).

ب – الخيرية: فالخيرية صفة لازمة للأمة المسلمة، قال تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال أيضاً: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فخُص هؤلاء بالفلاح دون من عداهم، والداعون إلى الخير هم الداعون إلى كتاب الله وسنة رسوله(٣).

والخير هو كل ما أقره الشرع ودعا إليه ونبه عليه، والدعوة إليه تقتضي الدعوة إلى الوسطية، كما أن التذكير بالخيرية هو تذكير بحبل النجاة، وهو حبل الله المتين الذي لا يزيغ من تمسك به، وهذا ظاهر في جميع الأمور.

د – الأمان: من أهم أثار الوسطية الأمان والاطمئنان؛ لكون الوسطية مكان أمان وبعد عن الأخطار والمزالق، ومن أراد أن يخرج من طريق الخوف والاضطراب فعليه العودة إلى وسطية الإسلام والاستقامة عليها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ

(١) ينظر: مدارج السالكين، ابن القيم، (٢/ ١٠٦).

(٢) رواه مسلم، ح(٣٨)، (١/٦٥).

(٣) ينظر: إعلام الموقعين، ابن القيم، (٢/ ١٦١).

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠]، أي: لاتخافوا ما تقدمون عليه من بعد مماتكم، ولا تحزنوا على ما تخلفونه وراءكم(١).

هـ – العدل: التشريع كله عدل ووسط، ويكون العدل بين العبد وربه بامتثال أوامره واجتناب مناهيه، وبين العبد وبين نفسه بمزيد من الطاعات وتوقي الشبهات والشهوات، وبين العبد وبين غيره بالإنصاف(٢).

وإذا عمل الناس بالشرع وأقاموا بالوسطية في حياتهم تحقق العدل: فالشرع هو العدل والعدل هو الشرع، ومن حكم بالعدل فقد حكم بالشرع، ولكن كثيراً من الناس ينسبون ما يقولونه إلى الشرع وليس من الشرع؛ بل يقولون ذلك إما جهلاً وإما غلطاً وإما عمداً وافتراءً وهذا هو الشرع المبدل الذي يستحق أصحابه العقوبة؛ ليس هو الشرع المنزل الذي جاء به جبريل من عند الله إلى خاتم المرسلين فإن هذا الشرع المنزل كله عدل ليس فيه ظلم ولا جهل(٣).

و – الإحكام في الدين: الوسطية تقوم على التسليم لما جاء في الكتاب والسنة، وأن الله قد أكمل شرائع الدين دون نقصان، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ ﴾ [المائدة: ٣]، أي: بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، والأصول والفروع؛ ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية، في أحكام الدين أصوله وفروعه(٤).

فإذا كان أكمله وأتمه وتلقاه الصحابة ﷺ عن النبي ﷺ، واعتقده من تلقى عنهم واطمأنت به نفوسهم، فأي حاجة بهم إلى تحكيم العقول والرجوع إلى قضاياها وجعلها أصلاً، والنصوص الصحيحة الصريحة تعرض عليها فتارة يعمل بمضمونها، وتارة تحرف عن مواضعها؛ لتوافق العقول، وإذا كان الدين قد كمل فلا تكون الزيادة فيه إلا نقصانا في المعنى(٥).

رابعاً: جهود العلماء في ترسيخ الوسطية ومكافحة الأفكار المنحرفة.

(١) ينظر: تفسير الطبري، (٢١/٤٦٦).

(٢) ينظر: فتح الباري، (١٣/ ٣٥٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، (٣٥ / ٣٦٦).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، (٧/١٩٧).

(٥) ينظر: فتح الباري، (١٠/ ٤٨٠).

أولاً: دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1]: كان ظهور ابن تيمية رحمه الله في عصرٍ انتشرت البدع والمحدثات، ومسالك أهل التقليد وتحكيم آراء الرجال؛ ولذلك اتخذ لنفسه منهجاً تجديدياً يُحيي من خلاله منهاج النبوة في الدعوة والاستقامة على الحق، وقد ظهر مفهوم الوسطية عند ابن تيمية رحمه الله من خلال كلامه، حيث يقول رحمه الله: «دين الله وسط بين الغالي فيه، والجافي عنه. والله تعالى ما أمر عباده بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بأيهما ظفر: إما إفراط فيه وإما تفريط فيه»[2].

وقال رحمه الله: «الانحراف عن الوسط كثير في أكثر الأمور في أغلب الناس. مثل تقابلهم في بعض الأفعال يتخذها بعضهم ديناً واجباً أو مستحباً أو مأموراً به في الجملة، وبعضهم يعتقدها حراماً مكروهاً أو محرماً أو منهياً عنه في الجملة»[3].

ثانياً: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله[4]: تشكل دعوة الشيخ محمد رحمه الله وحركته الإصلاحية التجديدية مفصلاً تاريخياً مهماً في تاريخ دعوات الموحدين، فقد كان الشيخ رحمه الله داعية إلى الحق قاصداً تبليغ التوحيد، وتجريد العقيدة مما شابها من أدران الشرك والوثنية، ولقد كان ظهوره في عصر استحكمت فيه غربة الإسلام، وغلب على أهله الجهل والبدع والخرافات، وعبادة الأنبياء والصالحين والأشجار والأحجار، وقل من يصدع بالحق ويشرح للناس حقيقة التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب، ويحذرهم من أنواع الشرك المنافية لدين

(١) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، من أكبر علماء الإسلام علماً وقدراً، امتحن مرات عدة؛ بسبب نكاية الأقران وحسدهم، توفي بقلعة دمشق سنة: (٧٢٨هـ)، من أبرز مؤلفاته: بيان تلبيس الجهمية، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ودرء تعارض العقل والنقل، ومنهاج السنة النبوية، وغيرها. ينظر: العقود الدرية، ابن عبدالهادي، ص (٢-٣٠)، والبداية والنهاية، ابن كثير، (١٣٥/١٤).

(٢) مجموع الفتاوى، (٣٨١/٣).

(٣) مرجع سابق، (٣٥٩/٣).

(٤) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، اشتغل بطلب العلم، كان حاد الفهم سريع الإدراك والحفظ، سكن حريملاء، ثم قصد الدرعية فتلقاه أميرها الإمام محمد بن سعود بالإكرام، وقال: أبشر أيها الشيخ بالنصر والمنعة، فقال الشيخ: وأنا أبشرك _ إن شاء الله _ بالأجر والعز والتمكين والغلبة، له مؤلفات منها: كتاب التوحيد، وكتاب كشف الشبهات، ومختصر السيرة النبوية، توفي سنة (١٢٠٦هـ). ينظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبداللطيف، ص(١٦-٢٥)، والأعلام، (٢٥٦/٦-٢٥٧).

الإسلام، وأوذي في ذلك أذى كثيراً من الجهال وأدعياء العلم، فصبر ﷺ على ذلك، واستمر في الدعوة والبيان وإيضاح الحق بأنواع الأدلة من الكتاب والسنة وشرح حال سلف الأمة(١).

وبذلك ثبتت دعوته أمام أعاصير الباطل التي اتهمت بها، وقد جعل الله لها الانتشار في أصقاع الأرض، والقبول في كل مكان حلت به، وحملها آلاف العلماء وطلبة العلم: ملتزمين بها، ومعلمين ودعاة لها.

ثالثاً: وسطية العلماء المعاصرين: قامت دعوات غرضها إحياء الإسلام عقيدة وشريعة في نفوس الناس، وكانت هناك جماعة من العلماء على ذلك المنهج الأصيل والصراط المستقيم سالمة من الانحراف عنه والوقوع فيما يناقضه، والتي اتخذت فهم السلف عقيدةً ومنهجاً، وجعلت الوسطية لها دعوة وطريقاً، ومن ذلك ما كان لعلماء الدعوة النجدية من أثر بالغ في تصحيح التوحيد وتهذيب العقيدة مما شابها من شوائب الشرك والمحدثات، ولم يكن أثرهم قاصراً على الجزيرة العربية بل كان لهم الأثر في مواطن أخرى.

وممن تأثر بهذه الدعوة على سبيل المثال بعضاً من أعلام الدعوة السلفية في العالم الإسلامي، ففي مصر: الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ أحمد محمد شاكر، والشيخ محمد حامد الفقي. وفي الشام: الشيخ محمد جمال الدين القاسمي، والشيخ ناصر الدين الألباني، وفي العراق الشيخ محمود شكري الألوسي، وعدد من أولاده وأحفاده وغيرهم ﷺ جميعاً.

(١) ينظر: مقدمة كتاب: محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية، أحمد آل بوطامي، ص(٢). بتصرف.

المبحث الثالث: العالمية.

أولاً: مفهوم العالمية:

العالمية لغة: جمع عالَم، ولا واحد للعالم من لفظه؛ لأن عالماً جمع أشياء مختلفة، فإن جعل عالم اسماً لواحد منها صار جمعاً لأشياء متفقة، والجمع عالمون(١)، وقيل: سمي العالم بهذا الاسم؛ لاجتماعه، قال تعالى: ﴿ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٥ ﴾ [الأنعام: ٤٥]، قالوا: الخلائق أجمعون، وقيل: الآدميون خاصة(٢).

واصطلاحاً: تختلف تعريفات العالمية؛ حسب ورودها، والغرض التي جاءت له.

فقد عُرِّفت بأنها: حركة إنسانية تعمل على خدمة البشرية، والتقارب بين الشعوب دون المساس بهوياتها وخصوصياتها الثقافية(٣).

ولكن هذا التعريف بعيد عن العالمية التي يقصد بها عالمية الإسلام وأنه دين عالمي، ويمكن أن تُعرَّف إذا كان المقصود بها عالمية الإسلام بأنها:

الديانة المفتوحة لكل البشر دون قيود أو عوائق، والتي شمل بلاغها جميع الخلق، وكانت علاج لمشاكل الحياة، ومواكبة للأحداث والمتغيرات؛ لموافقتها الفطرة، ويسرها وسهولتها في التكاليف، وشموليتها وثباتها في الأحكام.

ثانيا: أهمية العالمية:

تبرز أهمية عالمية الإسلام في أنه هو الدين الذي اختاره المولى سبحانه وارتضاه للعالم إلى قيام الساعة، وهو دين لا يقبل الله ديناً غيره، ولا يأمر بدين إلا هو، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ

(١) ينظر: المحكم، (١٧٧/٢).

(٢) ينظر: تحرير ألفاظ التنبيه، النووي، ص(٦٤).

(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، (١٥٤٣/٣).

ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وأما رسالة النبي ﷺ التي جاء بها وأمر بها فكانت رسالة خير ورحمة للعالم، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ودعوته كانت شاملة لجميع الخلق، كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١ ﴾ [الفرقان: ١]، وجاء في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»(١).

وكان الكتاب الذي أنزله الله وأوحاه إلى نبيه ﷺ قد خاطب الله به جميع العالمين، كما قال تعالى: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ ﴾ [يوسف: ١٠٤]، كما وصفه سبحانه بأنه خير الكتب وأحسنها، كما قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾ [الزمر: ٢٣]، وهو أيضاً الرقيب والشهيد على جميع الكتب، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾ [المائدة: ٤٨]، فأصل الهيمنة: هي الحفظ والارتقاب، يقال إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده: قد هيمن فلان عليه(٢).

وقد وصفه سبحانه بالبركة كما قال: ﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، وهذا يقتضي كثرة خيراته ونمائها وزيادتها، ولا شيء أعظم بركة من هذا القرآن، فإن كل خير ونعمة، وزيادة دينية أو دنيوية، أو أخروية؛ فإنها بسببه، وأثر عن العمل به(٣).

أما قبلة أهل الإسلام ومأوى أفئدتهم: بيت الله الحرام وكعبته المشرفة، فقد كانت أول بيت وضع للناس وأول قبلة للعالمين، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

ثم إن مما يؤكد عالمية رسالة الإسلام قيام النبي ﷺ بإرسال رسائل إلى ملوك الفرس والروم وغيرهم، يدعوهم فيها للدخول إلى دين الإسلام، فضلاً عن الوفود والرسل الذين بعثهم إلى عددٍ من الزعماء لنفس الغاية، وقد بشر النبي ﷺ بانتشار الإسلام، فعن خباب بن الأرت ﷺ

(١) رواه مسلم، ح(٥٢٣)، (١/٣٧١).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (١/١٧).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص(٥٢٥).

أن النبي ﷺ قال: «والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه»(١).

ثالثاً: آثار العالمية:

للعالمية الإسلامية آثار منها كالآتي:

١- انتشار الدعوة الإسلامية: من آثار العالمية الإسلامية وصول الدعوة الإسلامية وانتشارها إلى كافة أرجاء العالم دون استثناء، وقد أصبحت الدين الأعظم إقبالاً والأكثر انتشارًا بين الأفراد، والأسرع نمواً في العالم خلافاً لباقي الأديان الأخرى.

٢- معالجة كافة القضايا والنوازل: من آثار العالمية الإسلامية أنها تعالج كافة القضايا والتفاصيل التي تواجه الإنسان في حياته بغض النظر عن الزمان والمكان؛ فالإسلام ليس دينا جامداً بل لديه مساحة من مواكبة جميع القضايا والنوازل الحادثة، ولا يعني ذلك تغييره بل فتح باب الاجتهاد والبحث في فروع الدين؛ ولذلك كان الإسلام في مقدمة الديانات التي تعالج المشاكل الحادثة وتوجد حلولاً لها.

٣- تحقيق التعايش: من آثار العالمية الإسلامية تحقيق التعايش بين الأفراد والأمم، والحفاظ على الحقوق الإنسانية وتكريمها، ونبذ كافةِ مظاهر العنصرية والتمييز بين الأفراد سواء كان على الصعيد القبلي أو الطبقي أو غيرها؛ وهذا ما جعل الإسلام يختلف عن غيره في: الحفاظ على كرامة الإنسان وصيانتها، واحترامه للجميع دون تفرقة.

٤- نشر قيم السلام والتسامح: ومن آثار العالمية الإسلامية: أن الإسلام دين سلام وتسامح، والإسلام والسلام يجتمعان في توفير السكينة والطمأنينة، ونبذ الحروب والكراهية، كما يشمل الإسلام أمور الأفراد والمجتمعات في جميع مناحي الحياة، وإذا وجد الإسلام وجد السلام وانتفت الضغائن بين الناس، وعمت المحبة والمودة بين الشعوب، وعالمية الإسلام تحقق الأمان وتمنع العدوان، وتؤثر السلم على الحرب إلا للضرورة: كإقامة العدل والانصاف، أو دفع الظلم ونصرة المظلوم؛ حتى يأخذ كل صاحب حق حقه، ويتحقق السلام بين الشعوب والمجتمعات.

٥- المساعدة على تجاوز الصعوبات والأزمات: عالمية الإسلام تسعى دائما الى استقرار المجتمعات الاسلامية والعالمية، وإلى استقرار علاقات المسلمين مع غيرهم، وتبادل المصالح

(١) رواه البخاري، ح(٣٦١٢)، (٤/٢٠١).

والمنافع مع الأمم الأخرى، والتعاطف والرحمة مع كل من حلت بهم المصائب أو وقعت عليهم النكبات من شعوب العالم.

المبحث الثالث: السماحة واليسر.

أولاً: المراد بالسماحة واليسر:

السماحة لغة: السين والميم والحاء أصل يدل على سلاسة وسهولة(١)، وقيل: من السماح: وهو الجود(٢)، والحنيفية السمحة: أي ليس فيها ضيق ولا شدة؛ لكونها مبنية على السهولة(٣).

واليسر لغة: ضد العسر(٤)، واليسير: القليل(٥)، وتيسر الشيء واستيسر أي: تسهل(٦)، ومنه الدين يسر: أي سهل سمح قليل التشديد(٧).

واصطلاحاً: السماحة واليسر قريبان في المعنى ويعنيان: السهولة واللين والسعة، ورفع الحرج والضيق والمشقة، ونحو ذلك من المعاني الدالة على السلاسة والسهولة.

فالسماحة في الاصطلاح: قيل: هي السهولة المحمودة فيما يظن الناس التشديد فيه، ومعنى كونها محمودة: أنها لا تفضي إلى ضرر أو فساد(٨).

واليسر في الاصطلاح: قيل: هو تطبيق الأحكام الشرعية بصورة معتدلة كما جاءت في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، من غير تشدد يحرم الحلال، ولا تميع يحلل الحرام(١).

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، (٣/٩٩).

(٢) ينظر: جمهرة اللغة، (١/٥٣٥).

(٣) ينظر: لسان العرب، (٥/٤٨٩).

(٤) ينظر: مجمل اللغة، (١/٩٤١).

(٥) ينظر: لسان العرب، (٥/٢٠٠).

(٦) ينظر: المحكم، (٨/٥٧٥).

(٧) ينظر: النهاية في غريب الحديث، (٥/٢٩٥).

(٨) ينظر: مقاصد الشريعة، الطاهر بن عاشور، ص(٢٦٩).

ثانياً: أهمية السماحة واليسر:

للسماحة واليسر أهمية في الإسلام وتتلخص في أمور منها ما يلي:

١- أن الإسلام شريعة عامة للناس كافة: فاقتضى ذلك أن يجعل الله فيها من اليسر والسماحة والتخفيف ما يلائم اختلاف الناس وطبائعهم، في مختلف الأزمان، وتباين البقاع؛ حتى يكون تنفيذها والعمل بها سهلا ميسورا.

فعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا، ولا تنفروا»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»(٣).

٢- أن الإسلام دين الفطرة: وفي فطرة الإنسان حب اليسر والرفق والسماحة، والنفور من الشدة؛ فطبيعة البشر العادية تنفر من التشديد ولا تحتمله، وتمقته ولا تصبر عليه، ولو صبر عليه بعضهم لم يصبر عليه بقيتهم؛ ولذلك جاءت تعاليم الإسلام موافقة للفطرة مشتملة على الرفق والسماحة واليسر.

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»(٤).

٣- أن السماحة في الشريعة تعني سهولة التكليف والمعاملة في اعتدال: فهي وسط بين التضييق والتساهل؛ وهذا راجع إلى معنى الاعتدال والعدل، والتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وهذا مما تميزت به هذه الأمة عن سائر الأمم، كما قال جل شأنه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

٤- إن اليسر والسماحة ورفع الحرج تشمل جميع أعمال المكلف: فيشمل ذلك الدينية منها والدنيوية ما لم يخالف حكماً شرعياً، فليس للمسلم أن يشدد على نفسه بما لا يحتمله من العبادة، ولا أن يضيق على نفسه في أمور الدنيا؛ بزعم التقرب إلى الله تعالى بذلك، فليس

---

(١) ينظر: اليسر والسماحة في الإسلام، فالح الصغير، ص(٦).

(٢) رواه البخاري، ح(٦٩)، (١/٢٥)، ومسلم، ح(١٧٣٤)، (٣/١٣٥٩).

(٣) رواه أبو داود، ح(٣٨٠)، (١/٢٨١)، والترمذي، ح(١٤٧)، (١/٢١٥)، والنسائي، ح(٥٦)، (١/٤٨)،وقال الألباني في صحيح الجامع، (١/٤٦٤): صحيح.

(٤) سبق تخريجه.

التضييق على النفس في الحلال من القربة إلى الله تعالى والزهد، ومن يريد الشدة والتعنت إنما يخالف تعاليم الإسلام التي تأمر بالتيسير والنهي عن التعمق والتشديد.

فعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا(١).

وعن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إياكم والغلو، فإنما هلك من كان قبلكم؛ بالغلو في الدين»(٢).

ثالثاً: آثار السماحة واليسر:

للسماحة واليسر آثار في الدين تتلخص في التالي:

١- السماحة واليسر في العقيدة: يتميز الدين الإسلامي بوضوح العقيدة ويسرها، وسهولة الإيمان بالله تعالى؛ حيث أمر الناس بعبادة الله وحده، لا معبود سواه، وأنه لا وساطة بين العباد وخالقهم، ولا شركاء معه، وليس في العقيدة الإسلامية غموض وغبش أو خفاء وكتمان، كما أنه ليس فيها استهانة بالعقل الإنساني؛ ليعبد أحجاراً وأشخاصاً أو غير ذلك، وإنما هي عقيدة في غاية من اليسر والسماحة، وغاية في سهولة الفهم والمعرفة.

فعن عائشةﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: « إني أرسلت بحنيفية سمحة»(٣).

٢- السماحة واليسر في العبادات: يظهر مبدأ اليسر والمسامحة جلياً في العبادات أكثر من أمور وأحكام الدين الأخرى؛ فجميع العبادات قائمة على هذا المبدأ الذي خص الله تعالى به هذه الأمة دون غيرها.

ففي الطهارة يتبين يسر هذا الدين من قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، فعن أنس ﷺ: أن أعرابياً بال في المسجد، فقاموا إليه، فقال رسول الله ﷺ: «لا تزرموه(٤)» ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه(١).

---

(١) رواه مسلم، ح(٢٦٧٠)، (٤/٢٠٥٥).

(٢) رواه والنسائي، ح(٣٠٥٧)، (٥/٢٦٨)، وابن ماجه، ح(٣٠٢٩)، (٤/٢٢٨)، وأحمد في مسنده، ح(٣٢٤٨)، (٥/٢٩٨)، وابن حبان في صحيحه، ح(٣٨٧١)، (٩/١٨٣)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة، (٥/١٧٧): صحيح.

(٣) رواه أحمد في مسنده، ح(٢٤٨٥٥)، (٤١/٣٤٩)، وقال الأرناؤوط في حاشية المسند، (٤١/٣٤٩): حديث قوي، وهذا سند حسن، فيه رواي حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٤) رواه البخاري، ح(١١١٧)، (٢/٤٨).

وفي الصلاة عندما سأل عمران بن حصين ﷺ عن كيفية الصلاة حين المرض، فقال له النبي ﷺ: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»(٢).

وعن عائشة ﷺ أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة، قال: «من هذه؟» قالت: فلانة، تذكر من صلاتها، قال: «مه عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإن الله لا يمل حتى تملوا»(٣).

وفي الحج عن جابر بن عبد الله ﷺ أن عائشة ﷺ في حجة النبي ﷺ أهلت بعمرة...، قال: «وكان رسول الله ﷺ رجلاً سهلاً إذا هويت الشيء تابعها عليه. فأرسلها مع عبد الرحمن بن أبي بكر فأهلت بعمرة، من التنعيم»(٤).

٣- السماحة واليسر في المعاملات: الناس في المعاملات أكثر عرضة للوقوع في الخلاف وعدم الاتفاق سواء في البيع والشراء أو الدين والقرض؛ لذلك جاءت النصوص القرآنية والنبوية تحث على اتباع التيسير والمسامحة في سائر المعاملات.

فعن جابر بن عبد الله ﷺ: أن رسول الله ﷺ ، قال: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»(٥).

وكان أبو قتادة ﷺ قد طلب غريما له فتوارى عنه. ثم وجده. فقال: إني معسر. فقال: آلله؟ قال: آلله. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة؛ فلينفس عن معسر، أو يضع عنه»(٦).

٤- السماحة واليسر في العلاقات الأسرية: تعاليم الإسلام تعمل على إحكام العلاقات والروابط داخل الأسرة، وعلى تقويتها وحفظها من الضعف والانهيار؛ لذلك كان بناء الأسرة على اليسر والسماحة خير وسيلة؛ لتهذيب النفوس وتنمية الفضائل التي تؤدي إلى قيام الحياة

(١) لا تزرموه: أي لا تقطعوا عليه بوله. ينظر: النهاية في غريب الحديث، (٢/٣٠١).

(٢) رواه البخاري، ح(١١١٧)، (٢/٤٨).

(٣) رواه البخاري، ح(٤٣)، (١/١٧)، ومسلم، ح(٧٨٥)، (١/٥٤٢).

(٤) رواه مسلم، ح(١٢١٣)، (٢/٨٨١).

(٥) رواه البخاري، ح(٢٠٧٦)، (٣/٥٧).

(٦) رواه مسلم، ح(١٥٦٣)، (٢/١١٩٦).

على التعاطف والتراحم والإيثار، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١].

وقد جاء الحث على الصبر بين الأزواج حتى وإن كان هناك عدم رغبة من أحد الطرفين في الآخر، قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [النساء: ١٩].

ولكن إن كانت العلاقة داخل الأسرة لا يمكن إصلاحها أو رأب الصدع فيها كان هناك الحل الأخير وهو: الطلاق والفراق بين الزوجين، ومع ذلك كانت السماحة واليسر حاضرة، ومطلوبة ومأمور بها حتى مع وجود هذا الأمر، قال تعالى: ﴿ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

٥- السماحة واليسر في العقوبات: تميزت الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع والقوانين الأخرى، في أنها وضعت العقوبات المناسبة لأفعال الناس التي تضر بالأنفس والأموال والأعراض وغيرها، وقد أضفت الشريعة على هذه العقوبات أنواعاً من السماحة واليسر؛ بحيث تتقبلها النفس الإنسانية في كل أحوالها، بل تطالب بها إذا وقعت مثل تلك الأفعال، ومن ذلك أنه لا يؤخذ أحد بجريرة أحد، أي: أنه لا يعاقب إلا القاتل نفسه، قال تعالى:﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٣].

ومن يسر الإسلام أيضًا وسماحته قبل تطبيق هذه العقوبة أنه يخبر أهل المقتول بما أعده الله من أجر وخير إذا تجاوزوا عن القاتل وعفوا عنه، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ما عفا رجل إلا زاده الله به عزاً ولا نقصت صدقة من مال ولا عفا رجل قط إلا زاده الله عزاً»(١).

وكذلك جعل المجال مفتوحا أمام ولي أمر المقتول وخيره بين إحدى ثلاث: القصاص أو الدية أو العفو، لقوله ﷺ: « من أصيب بدم أو خبل (الخبل الجراح) فهو بالخيار بين إحدى ثلاث: إما أن يقتص، أو يأخذ العقل، أو يعفو، فإن أراد رابعة فخذوا على يديه، فإن فعل شيئاً من ذلك ثم عدا بعد فقتل؛ فله النار خالدا فيها مخلداً»(٢).

(١) رواه أحمد في مسنده، ح(٩٦٤٣)، (١٥/٤٠٤)، وقال الأرناؤوط في حاشية المسند، (١٥/٤٠٤): إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه أبو داود، ح(٤٤٩٦)، (٤/١٦٩)، وابن ماجه، ح(٢٦٢٣)، (٣/٦٤٤)، وأحمد في مسنده، ح(١٦٣٧٥)،

الفصل الثالث: قضايا فكرية معاصرة، وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: الاستشراق،** تعريفه، نشأته، أهدافه ووسائله، وسائل مواجهة الاستشراق، نماذج من آراء المستشرقين حول الإسلام ومناقشتها.
- **المبحث الثاني: العولمة،** تعريفها، أهدافها، مظاهرها، آلياتها، الموقف منها.

(٢٩٧/٢٦).

الفصل الثالث: قضايا فكرية معاصرة.

المبحث الأول: الاستشراق.

أولاً: مفهوم الاستشراق:

الاستشراق لغة: مادة شرّق بتشديد الراء تعني: الأخذ في ناحية المشرق(١)، أما إذا أضيف إليها الألف والسين والتاء (استشراق) فإن معناها: طلب علوم الشرق وآدابه وأديانه بصورة شاملة(٢).

واصطلاحاً: تعددت تعريفات المعاصرين لمصطلح الاستشراق ويرجع ذلك؛ لاختلاف مدارس الاستشراق، وكذلك أهداف المستشرقين، ومن هذه التعريفات:

قيل هو: عبارة عن دراسات وأبحاث يقوم بها غربيون للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب: عقيدةً وشريعةً وثقافةً وحضارةً وتاريخاً ونظماً وثرواتٍ وإمكانياتٍ؛ بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية(٣).

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط، (١/٤٨٠).

(٢) ينظر: الأثر الاستشراقي في موقف أركون من القرآن، محمد السرحاني، (١/١).

(٣) ينظر: رؤية إسلامية للاستشراق، غراب، ص(٧).

وقيل: هو ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت: حضارته، وأديانه، وآدابه، ولغاته، وثقافته(١).

وقيل: هو أسلوب للتفكير يرتكز على التمييز المعرفي والعرقي والديني بين الشرق والغرب، وقد يراد به: ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب(٢).

ولعل التعريف الأول هو الأنسب من حيث تعريف الاستشراق وغرضه.

ثانياً: نشأة الاستشراق.

مرت نشأة الاستشراق بعدة مراحل هي كالآتي:

المرحلة الأولى: البدايات الفردية لبعض المهتمين من الغربيين بالمشرق على وجه العموم، وكان بدايته عن طريق نشاطات بعض الرهبان في زمن الدولة الإسلامية في الأندلس، من خلال بعض مؤلفاتهم التي تكلمت عن نبينا محمد ﷺ، أو عن طريق العلاقات والحوارات الإسلامية المسيحية.

المرحلة الثانية: بدأت تقريباً في عام: (١٨٧٣م) عن طريق العمل الكنسي الذي اهتم به القساوسة ورهبان الكنيسة؛ بعد أن اطلعوا على جدوى تنظيم الهجوم على بلاد الشرق، وكانت إسهاماتهم موجهة الى المفكرين والمطلعين والمثقفين؛ لتحقيق أهداف التبشير ونشر النصرانية، وإن لم يعلنوا عن ذلك صراحة.

المرحلة الثالثة: بدأت تقريباً في عام: (١٣١٢م)، وقد بدأ حين صدور قرار مجمع فيينا الكنسي الذي دعا إلى عقده البابا كليمنس الخامس، والذي أمر بإنشاء عددٍ من كراسي اللغة العربية والعبرية في عددٍ من الجامعات الأوربية، وكانت هذه المرحلة هي المرحلة الفعلية التي بدأ فيها الاستشراق. (٣)

ثالثاً: أهداف الاستشراق.

---

(١) ينظر: الاستشراق في السيرة النبوية، عبدالله، الأمين، ص(١٦).

(٢) ينظر: نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي الحاج، (١/٢٠).

(٣) ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود زقزوق، ص(١٩-٢٠)، والاستشراق والمستشرقون، عدنان وزان، ص(٣٨)، وظاهرة الاستشراق، علي النملة، ص(٣١-٣٩).

أبرز الأهداف التي عمل المستشرقون على الحصول عليها هي ما يلي:

الهدف الأول: الديني: هذا الهدف من أهم الأهداف، وهو المحور الأساس الذي ارتكزت عليه الحركة الاستشراقية، وقد تبين من نشأة الاستشراق بأنه نما وترعرع في الكنيسة وكانت بدايته على أيدي الرهبان النصارى.

وكان لهذا الهدف عدة أهداف من أبرزها:

١- حماية النصارى والشعوب التابعة للكنيسة من الدخول في الإسلام.

٢- الحد من انتشار الإسلام؛ حتى يتاح للديانة النصرانية الامتداد والانتشار.

٣- التعرف على الإسلام ولغته؛ بهدف تشكيك المسلمين به، ومحاولة تنصيرهم.

٤- تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين؛ لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية، والتشكيك في: التراث الإسلامي، والحضارة الإسلامية، وكل ما يتصل بالإسلام من: علم، وأدب، وتراث.

الهدف الثاني: الاستعماري: يعتبر هذا الهدف من الأهداف التي سعى التيار الاستشراقي للسيطرة به على هذا العالم الإسلامي، فاتجهوا لدراسة الشرق في العقيدة والعادات والأخلاق والثروات والتاريخ، وغير ذلك مما يتعلق بها من جغرافية وسكان؛ بغية أن يتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموها.

وكان لابد للغرب المستعمر من معرفة ما يمكن معرفته من أحوال هذا الشرق ومداخل السيطرة عليه؛ ولذلك تلقف الاستعمار تيار الاستشراق، وكان رؤساء الدول الاستعمارية رعاته وأكبر الداعمين له، وكانت سفاراتهم في البلدان المستعمرة المشرفة عليه.

الهدف الثالث: التجاري: من الأهداف التي حرضت كثيرًا من الغربيين على الدراسات الشرقية الاستشراقية هي: رغبتهم بالاستيلاء على خيرات البلاد الإسلامية، من خلال الاستيلاء على الأسواق التجارية، والمؤسسات المالية المختلفة، والثروات الأرضية، واستغلال الموارد الطبيعية والحصول عليها بأبخس الأثمان؛ لتكون بلاد المسلمين بلاد توفير لما تنتجه المصانع الغربية.

وبعد تصنيعها احتاجوا لفتح أسواق جديدة لتصريفها، فأرسلوا الوفود للتعرف على الطبيعة الشرائية لدى هذه المجتمعات؛ لتصدير منتجات مصانعهم إليها، والاستحواذ على الأسواق في البلاد الإسلامية، مع تضييقهم على المنافسات المحلية.

الهدف الرابع: العلمي: كان بعض المستشرقين أقبل على الدراسات الاستشراقية بدافع حب الاطلاع على حضارات الأمم، وأديانها، وثقافاتها، ولغاتها، وكانت الحضارة الإسلامية من أهم الحضارات التي اهتم بها هؤلاء المستشرقين، وقد كانوا على طرفين: طرف كان يبحث عن الحق، فاتبع المنهج العلمي السليم في البحث والكتابة والاطلاع، وهم أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه؛ لأنهم لم يكونوا يتعمدون أن يدسوا أو يحرفوا؛ لذلك جاءت بحوث هؤلاء أقرب إلى الحق، بل منهم من اهتدى بدراسته إلى الإسلام.

أما الطرف الآخر وهم الغالب: فكان حاقداً على التراث الإسلامي وجاحداً لفضله على العالم؛ فكان همهم ينصب بالطعن في الدين ونشر الشبه؛ لإضلال المسلمين، وقد زعم بعضهم بأن ما أبدعه علماء الغرب في الماضي كان بجهدهم ونتاج أفكارهم وعقولهم، ولم يكن للمسلمين فضل على الحضارة الغربية بشيء من تلك العلوم. (١)

رابعاً: وسائل الاستشراق.

اتخذ المستشرقون وسائل لتحقيق أهدافهم، من هذه الوسائل ما يلي:

١- التعليم الجامعي والبحث العلمي: منذ أن استقر الاستشراق كفرع معرفي له أقسامه العلمية ومراكز البحوث الخاصة به، قام الغرب بفتح بعض الجامعات الغربية في البلدان الإسلامية التي تعنى بشكل رئيسي بالعالم الإسلامي والدراسات العربية، وتسعى هذه الجامعات ومراكز البحوث أن تستقطب بعض أبناء الدول الإسلامية؛ لقضاء سنوات للعمل باحثين في هذه المراكز، وإن كان الغالب أن الجامعات الغربية ومراكز البحوث هناك تستقطب نماذج معينة من الباحثين العرب والمسلمين وهم بالذات المتأثرين بالفكر الغربي.

ومن وسائلهم في البحث العلمي:

١-عدم قبول أي بحث أو رسالة تبرز عظمة الإسلام.

٢- توجيه الطلاب المسلمين لجمع المعلومات التي تهم الإسلام وعن المجتمعات الإسلامية.

٣- فرض مواضيع معينة يجبر الطلاب على البحث فيها وفق: إملاءات معينة، وأهداف مرسومة.

---

(١) ينظر: الاستشراق: المعرفة والسلطة، إدوارد سعيد، ص(٣٨-٣٩) (٢١٥-٢٤٥)، والاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص(٢٢-٤٤)، والاستشراق والمستشرقون، ص(٢٨-٣٩)، وظاهرة الاستشراق، ص(٦٠-٨١).

٢- الكتب والمجلات والنشرات: حرص الاستشراق منذ بدايته على نشر الكتب التي تتناول الإسلام من جميع جوانبه عقيدة وشريعة وتاريخاً وسيرة، وقد تناولت هذه الكتب الأحوال الاجتماعية في العالم الإسلامي في مختلف العصور، في مجال العقيدة والتفسير والتشريع الإسلامي والتاريخ الإسلامي.

ومن الكتب التي تم نشرها: موسوعة دائرة المعارف الإسلامية، التي كانت قد صدرت بعدة لغات، وفي هذه الموسوعة تم حشد كبار المستشرقين لها، وقد ملئت بالأباطيل عن الإسلام وما يتعلق به.

٣- الندوات والمؤتمرات والدورات العلمية: دأب المستشرقون منذ بداية عهدهم بالدراسات العربية والإسلامية على الاتصال بعضهم ببعض عن طريق المراسلات والرحلات، وكان لا بد من طريقة أخرى يتوصلون إلى التبادل العلمي والثقافي؛ فكانت الندوات المحلية والإقليمية ثم الدولية وسيلة من وسائل الصلة بين المستشرقين، وكانت مؤتمرات المستشرقين في غالبيتها عبارة عن لقاء مجموعة من مئات العلماء من المستشرقين الباحثين؛ لتقديم الأبحاث والنظريات والمقترحات وأوراق العمل، ونشر كل ذلك للاستفادة منه، وكانت تقام مناسبات اجتماعية على هامش هذه المؤتمرات.

٤- الوسائل الإعلامية المختلفة: لما كانت الحكومات الغربية تدرك أهمية العلم والمتعلمين فقد سعت إلى الاستعانة بالباحثين المتخصصين في دراسات الشرق؛ لتقديم نتائج بحوثهم ودراساتهم واستشارتهم في شتى المجالات التي تخص العالم الإسلامي عن طريق أبحاثهم وأطروحاتهم ومقالاتهم الصحفية، كما أدرك الإعلام أيضاً أهمية استضافة أساتذة الجامعات المتخصصين في العالم الإسلامي، وقد أتاح لهم المجال لتقديم آرائهم في القضايا المعاصرة، ولم تكتف وسائل الإعلام بهذا الأمر بل كانت تطلب منهم أحياناً أن يجيبوا عن أسئلة الجمهور فيما يخص أمور العالم الإسلامي وثقافته.

خامساً: وسائل مواجهة الاستشراق.

من أهم الوسائل التي تتخذ في مواجهة المستشرقين ما يلي:

أولاً: التزام الأدب والجدال بالتي هي أحسن؛ حتى يتم بيان الحق لهم، وتوضيح سوء فهمهم أو قلة علمهم لبعض المسائل التي يطرقونها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ

أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد عن الباطل وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق(١).

ثانياً: أن المناقشة مع أهل الأديان والعقائد والمذاهب المختلفة يجب أن تكون مناقشة موضوعية نزيهة تكشف ما فيها من وجوه الزلل، وتبين الحق في ذلك كله، ولابد للمناقش أن يكون متضلعاً في علوم الشريعة، متمكنا مما سيُلزِم به المخالف، ملماً بماسيُطرح عليه من الأسئلة والشبهات؛ حتى لايقع في الخطأ، أو يتأثر ببعض الشبه.

ثالثاً: مما يستفاد منه في رد شبه ومزاعم المستشرقين هو دراسة الأسلوب القرآني في رد الشبه وإقامة الحق على المخالف، ومن الأمثلة على ذلك: أن الله قد أشار إلى الذين ينكرون البعث واليوم الآخر في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤﴾ [الجاثية: ٢٤]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ٣٥ * هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٣٧﴾ [المؤمنون: ٣٤ - ٣٧]، وعند تأمل هذا الطرح والمناقشة التي أعقبته تظهر عبارات:﴿تَعۡلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤]، ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٥]، ﴿تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٧]، وقد ذيلت بأسئلة متدرجة من مقدمة إلى نتيجة، فيها احترام لعقلية المجادل والنزول معه إلى ما يعقله ويدركه وتذكيره بلوازم ذلك، ثم السمو به إلى التقوى، وإيقاظ شعوره ووجدانه وهمته للزوم الحق والخير، وتحذيره من مغبة الكذب على الله ووصفه بما هو منزه عنه، حيث قال تعالى:﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٩٠ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٩٢﴾ [المؤمنون: ٩٠ - ٩٢].

ثالثاً: ضرورة تطوير وسائل الرد على المستشرقين؛ لكشف ضلالهم وبيان أخطائهم عند تناولهم بعض الشبه التي تخص الإسلام، ومن هذه الوسائل:

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص(٦٣٢).

١- عمل دورات مكثفة في كيفية التعامل مع شبهات المستشرقين والرد عليها، وتدريب الباحثين على كيفية مواجهتها.

٢- إعداد موسوعات شرعية وعلمية وثقافية للرد على المستشرقين، يتم فيها تفنيد فيها دعاويهم حول الدين الإسلامي، والبحث عن كل ما يخص الاستشراق: من مدارس، وعلماء، وكتب ودوريات ونشرات، واتجاهات، وأهداف، ووسائل، وغير ذلك.

٣- فتح معاهد للدراسات الاستشراقية في الجامعات الإسلامية تهتم بما صدر عن المستشرقين تصنيفًا ودراسة ونقدًا.

٤- عقد مؤتمرات لمناقشة الأعمال المنجزة في هذا الصدد، ورصد النتائج، وتبادل التجارب والخبرات، ثم الاتفاق على جمع النتائج ونشرها من قبل لجان متخصصة في: دوريات، أو كتب، أو مجلات.

٥- توجيه بعض الرسائل الجامعية في الدراسات العليا في الأقسام الإسلامية والإنسانية نحو دراسة: آراء المستشرقين، وآثارهم، ومدارسهم، والرد عليهم بما يبطل مزاعمهم في بعض مفترياتهم.

سادساً: نماذج من آراء المستشرقين حول الإسلام ومناقشتها.

١- الطعن في رسالة النبي ﷺ: طعن المستشرقون في رسالة النبي ﷺ وذكروا مزاعم باطلة، منها: ما قاله المستشرق آفنج في كتابه: حياة محمد، تحت عنوان: مسألة تعرض محمد لحالات من الصرع، حيث يقول: يبدو أن بعض المؤرخين المسلمين القدامى قد أيدوها؛ فذهبوا إلى أن محمدًا كان يصاب برعدة عنيفة، ثم بنوع من الإغماء أو التشنجات، وفي خلال ذلك ينحدر من جبهته سيل من العرق البارد، فكان يرقد وعيناه مغلقتان وقد انتشر الزبد حول فمه ...، وكانت زوجته عائشة ومولاه زيد ممن وصفوا هذه الحالة، وذكروا أنها تحدث له نتيجة نزول الوحي عليه، وقد انتابته هذه الحالة عدة مرات في مكة قبل نزول القرآن وخافت خديجة عليه، إذ ظنت أنها نتيجة تأثير الأرواح الشريرة، وأرادت استدعاء أحد المشعوذين؛ ليفحصه، ولكن محمدًا نهاها عن ذلك؛ فكان لا يحب أن يراه أحد خلال هذه النوبات(١).

(١) الصلصلة: هي صوت الحديد والجرس والفخار مما له طنين، يريد بذلك صوت الملك الذي ينزل عليه بالوحي. ينظر: مشارق الأنوار، (٤٤/٢).

ويرد على هذه الشبهات بما يلي:

أولاً: إن التشكيك في الوحي ووصفه بأنه ضرب من الصرع أو السحر، إنما هو كراهية وحقد دفين في نفوس هؤلاء القوم تجاه هذا الدين، ثم إن الوحي كان ينزل على الرسول ﷺ بصور متعددة فأحيانًا كصلصلة الجرس(١) وأحيانًا بصورة رجل، وأحيانًا بصورته الحقيقية، وقد سأل الحارث بن هشام رضي الله عنه الرسول ﷺ، فقال: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم(٢) عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول»، قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد(٣) عرقاً(٤) .

ثانياً: أن الوحي الذي كان ينزل على النبي ﷺ بصور متعددة ولم يكن بينه وبين الصرع أي تقارب أو تشابه؛ لأن الصرع عندما يصيب الإنسان يفقده النطق والحركة وتصطك أسنانه وتزيغ عيناه، فأين هذا من الحالة التي كان عليها النبي ﷺ وهو يتلقى الوحي؟ ثم كيف يؤمن به الناس وهو يعاني مرض الصرع، وهو الذي يأتيهم بكلام فصيح وبليغ، تحدى العرب به عدة مرات في كتاب الله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤].

ثالثاً: أن الحالات التي ذكرها هؤلاء القوم إنما هي محض افتراء وكذب وليس عليها دليل علمي، وهي مجرد أقاويل؛ لأن الرسول ﷺ عندما جاءه الوحي في المرة الأولى كان في غار حراء، ولم يسبقه شيء قبل ذلك كما يدعي هؤلاء، حيث تقول عائشة رضي الله عنها: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء. وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو: التعبد الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء،

---

(١) ينظر: دراسات في الاستشراق ورد شبه المستشرقين حول الإسلام، علي شاهين، ص(١٢٤-١٢٥).

(٢) يفصم: أي ينقطع عنه الوحي. ينظر: تهذيب اللغة، (١٤٩/١٢)، ولسان العرب، (٤٥٤/١٢).

(٣) يتفصد: أي يسيل عرقاً. ينظر: لسان العرب، (٣٣٧/٣).

(٤) رواه البخاري، ح(٢)، (٦/١)، ومسلم، ح(٢٣٣٣)، (٤/ ١٨١٦)، واللفظ للبخاري.

فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: «ما أنا بقارئ»، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني. فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾ [العلق: ١-٣]، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: «زملوني زملوني»، فزملوه حتى ذهب عنه الروع(١).

رابعاً: أما قولهم وافتراؤهم على خديجة رضي الله عنها بأنها خافت عليه وخشيت أن يكون الوحي من الأرواح الشريرة، فإنه مردود عليهم بقول خديجة نفسها رضي الله عنها، عندما أخبرها النبي ﷺ بالوحي وقال: «لقد خشيت على نفسي»، فقالت خديجة: «كلا والله ما يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل(٢)، وتكسب المعدوم(٣)، وتقري الضيف(٤)، وتعين على نوائب الحق(٥)»(٦).

وأما قولهم: إنها ذهبت به إلى مشعوذ، فإن ذلك حمق وافتراء؛ لأن الذي ذهبت إليه هو ورقة بن نوفل وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى(٧).

---

(١) رواه البخاري، ح(٣)، (١/٧)، ومسلم، ح(١٦٠)، (١/ ١٣٩)، واللفظ للبخاري.

(٢) تحمل الكل: من الأثقال والحوائج المهمة والعيال وكل ما يتكلف ويثقل حمله فهو كل. ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين، الحميدي، ص(٥٠٩).

(٣) تكسب المعدوم: أي الفقير الذي صار من شدة حاجته كالمعدوم نفسه. ينظر: النهاية في غريب الحديث، (١٩١/٣).

(٤) تقري الضيف: قريت الضيف أي: أطعمته، والقرى بالكسر مقصور ما يهيأ للضيف من طعام ونزل. ينظر: مشارق الأنوار، (١٨١/٢).

(٥) نوائب الحق: جمع نائبة، وهي ما ينوب الإنسان، أي: ينزل به من المهمات والحوادث، ينظر: تاج العروس، (٣١٧/٤).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) سبق تخريجه.

٢- الطعن في شخصية النبي ﷺ:

طعن المستشرقون في رسالة النبي ﷺ وذكروا صفات لا تليق به، منها: ما زعمه المستشرق جولد تسيهر، حيث يقول: روي عنه ﷺ أنه قال: «إنما حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء»(١)، وأضيف إلى ذلك فيما بعد: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»، وهذه الرواية وأمثالها تجعله بحق موضع اتهام خصومه الذين أخذوا عليه أنه لا يشتغل بغير النساء؛ مما لا يتفق وصفة النبوة(٢).

ويرد على هذه الشبهات بما يلي:

أولاً: أن الله تعالى قد أباح لنبيه ﷺ الزواج لأكثر من واحدة، وهذا شرع الله وسنة الإسلام كما قال تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء: ٣]؛ ولهذا كان للزواج في دين الإسلام حِكَمٌ وأسباب، ومن هذه الحكم:

١- تربية النفس على الطهارة والعفة بدلاً من إطلاق عنانها في دروب الرذيلة والفواحش، فربما احتاج الإنسان ليتزوج أكثر من واحدة؛ لحاجته إلى ذلك، فقد تكون الزوجة مريضة أو عقيمة، أو غير ذلك من الأسباب التي تدفع بالإنسان أن يتزوج بأخريات.

٢- زيادة عدد النساء وقلة عدد الرجال الذين تصيبهم المنية بأسبابها الكثيرة ولاسيما الحروب الطاحنة، وما تخلفه هذه الحروب من المآسي من القتلى والمعاقين؛ فكان لزامًا أن يتزوج الرجل الواحد أكثر من واحدة؛ حتى تستمر الحياة وتتجدد الأجيال.

ثانياً: الزواج بأكثر من واحدة كان جائزًا في جميع الشرائع السابقة، كاليهودية والنصرانية التي ينتمي إليها معظم المستشرقين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين كلهن، يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة

(١) رواه النسائي، ح(٣٩٣٩)، (٦١/٧)، وأحمد في المسند ح(١٢٢٩٤)، (٣٠٧/١٩)، والبيهقي في الكبرى، ح(١٣٤٥٤)، (١٢٤/٧)، والطبراني في الأوسط، ح(٥٢٠٣)، (٢٤١/٥)، وقال الألباني في صحيح الجامع، (٥٩٩/١): صحيح.

(٢) ينظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق،(٥٢٤/١).

واحدة، جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله، فرساناً أجمعون»(١).

وقد جاء في المصادر اليهودية أن داود عليه السلام قد تزوج بأكثر من زوجة، فجاء في سفر صموئيل الثاني: «وأخذ داود أيضًا سراري ونساء من أورشليم بعد مجيئه من حبرون فولد أيضًا لداود بنون وبنات»(٢).

بل جاء تصريح مفتوح لداود عليه السلام بأن يتزوج بمن يشاء، وقتما يشاء، حسبما يشاء: «هكذا قال الرب إله إسرائيل، أنا مسحتك ملكًا على إسرائيل وأنقذتك من يد شاول، وأعطيتك بيت سيدك، ونساء سيدك في حضنك، وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا، وإن كان ذلك قليلًا كنت أزيد لك كذا وكذا» (٣).

ومن الأدلة على ذلك أيضاً أن الكنيسة ظلت حتى القرن السابع عشر تعترف بتعدد الزوجات(٤)، وكان التعدد مباحًا في أوروبا حتى عهد شارلمان الذي كان متزوجًا بأكثر من امرأة، ثم أشار القساوسة على المتزوجين بأكثر من واحدة أن يختاروا لهم واحدة من بينهن يطلق عليها زوجة، ويطلق على غيرها اسم خدينة (٥).

ثالثاً: أن بيوت النبي ﷺ كانت بفضل زوجاته بمنزلة مدارس تخرج المؤمنات الداعيات لهذا الدين، وكانت كل زوجة داعية وفقيهة تعلم النساء أحكام دينهن لقربهن من رسول الله ﷺ، فكانت النسوة يترددن إليهن، ويسألن عما يشكل عليهن من أمور الدين: كحقوق الزوج، وأحكام الطهارة، والتحلي بأخلاق الرسول ﷺ، وغير ذلك.

٣- الطعن في الأحاديث النبوية:

زعم المستشرقون أن الحديث النبوي مزيج من عقائد وأفكار الأديان السابقة، ومن ذلك: ما قاله المستشرق ريتشارد بل: إن النبي ﷺ قد اعتمد في كتابته للقرآن على الكتاب المقدس،

---

(١) رواه البخاري، ح(٢٨١٩)، (٢٢/٤).

(٢) سفر صموئيل الثاني، (٥-١٣)، نقلاً عن مناظرة بين الإسلام والنصرانية، لمجموعة من العلماء، ص(٣٨٨).

(٣) سفر صموئيل الثاني، (١٢: ٧-٨)، نقلاً عن مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص(٣٨٨).

(٤) ينظر: الأديان في كفة الميزان، محمد الهاشمي، ص(١٠٩).

(٥) ينظر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص(٣٦٩).

وبخاصة على العهد القديم في قسم القصص، فبعض قصص العقاب كقصص عاد وثمود مستمد من مصادر عربية، ولكن الجانب الأكبر من المادة التي استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها قد استمده من مصادر يهودية ونصرانية، وقد كانت فرصته في المدينة للتعرف على ما في العهد القديم أفضل من وضعه السابق في مكة حيث كان على اتصال بالجاليات اليهودية في المدينة، وعن طريقها حصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل(١).

ويرد على هذه الشبهات بما يلي:

أولاً: هناك أموراً مشتركة في بعض التشريعات بين الإسلام والديانات الأخرى؛ لأن مصدر الديانات كلها من عند الله، وكلها تأتي إلى البشر عن طريق الوحي إلى الرسل والأنبياء، ورغم أن الديانات السابقة أصابها التحريف والزيادة والنقصان إلا أنه بقي منها بعض الأمور التي توافق القرآن الكريم والسنة النبوية كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة:٤٤-٤٥] .

ثانياً: ورد في الحديث النبوي أيضاً بعض الأحكام التي تتوافق مع ما في التوراة، فعن عبد الله بن عمر ﷺ أن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ، فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم». فقالوا: نفضحهم ويجلدون، فقال عبدالله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجماً، قال عبدالله: فرأيت الرجل يجنأ(٢) على المرأة يقيها الحجارة(٣).

(١) ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية، ص(١٠٢).

(٢) يجنأ: أي يكب ويميل عليها؛ ليقيها الحجارة. ينظر: تهذيب اللغة، (١٣٥/١١)، وتاج العروس، (١٨٠/١).

(٣) رواه البخاري، ح(٣٦٣٥)، (٢٠٦/٤).

ثالثاً: اتصف الصحابة ﷺ بالصدق والإخلاص لهذا الدين، فلو كان للقرآن علاقة بالأديان الأخرى من حيث الاقتباس؛ لرأينا الكثير من هؤلاء الصحابة ﷺ ينقلون إلينا ذلك، ولكن لم ينقل أحد شيءٌ من ذلك؛ وهذا دليل واضح على بطلان قولهم من أن السنة مزيج من العقائد والأديان السابقة.

رابعاً: أنه لو كانت رسالة الإسلام مقتبسة من تلك الأديان لما جاء في كتاب الله تعالى الأمر بمخالفتهم والنهي عن اتباعهم وعدم الاقتداء بهم، قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [المائدة: ٤٨].

المبحث الثاني: العولمة.

أولاً: مفهوم العولمة:

العولمة لغة: اشتقت من العالم بفتح اللام (١)، وقيل: أنها مشتقة من الفعل عولم على صيغة فوعل، واستخدام هذا الاشتقاق يفيد أن الفعل يحتاج لوجود فاعل يفعل، أي أن العولمة تحتاج لمن يعممها على العالم(٢)، وقيل هي جعل العالم عالمِا واحدًا، موجهًا توجيهًا واحدًا في إطار حضارة واحدة؛ ولذلك قد تسمى الكونية، أو الكوكبة (٣).

واصطلاحاً: عرفت العولمة بعدة تعريفات، من هذه التعريفات ما يلي:

قيل: هي نظام عالمي جديد يقوم على العقل الإلكتروني، والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود، دون اعتبار: للأنظمة، والحضارات، والثقافات، والقيم، والحدود الجغرافية، والسياسية القائمة في العالم(٤).

---

(١) ينظر: معجم الصواب اللغوي، أحمد مختار وآخرون ، (٥٥٣/١).

(٢) ينظر: مفهوم العولمة وقراءة تاريخية للظاهرة، أحمد الدجاني، ص(١٣).

(٣) ينظر: مقاربتان عربيتان للعوامة، ياسر عبد الجواد، ص(٢).

(٤) ينظر: العولمة، محمد أبو زعرور، ص(١٤).

وقيل: هي حرية حركة السلع والخدمات، والأيدي العاملة، ورأس المال، والمعلومات عبر الحدود الوطنية والإقليمية(١).

وقيل: هي تعاظم شيوع نمط الحياة الاستهلاكي الغربي، وتعاظم آليات فرضه سياسياً واقتصادياً وإعلامياً وعسكرياً وثقافياً؛ بعد التداعيات العالمية التي نجمت عن انهيار الاتحاد السوفيتي، وسقوط المعسكر الشرقي(٢).

ولعل التعريف الأخير أشمل التعريفات وأنسبها.

ثانياً: أهداف العولمة.

للعولمة أهداف تسعى لتحقيقها هي كالتالي:

أولاً: الأهداف الاقتصادية: ترتبط عملية العولمة بتدويل النظام الاقتصادي الرأسمالي، حيث يتم التدخل الغربي في الأوضاع الاقتصادية للدول، عبر المؤسسات المالية الدولية: كصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، وبالتالي تحقق العولمة لأصحابها عدة أهدف كبيرة في المجال الاقتصادي هي:

١: السيطرة على رؤوس الأموال، واستثماراتها في الغرب.

٢: الهيمنة الغربية على اقتصاديات العالم من خلال المجال الاقتصادي في صندوق النقد الدولي؛ بحيث تصبح الدول تحت رحمة هذا الصندوق.

٣: تحقيق مصالح المجموعات الغنية في الدول الغربية والقوى المتحالفة معها في الدول الأخرى على حساب شعوب العالم.

ثانياً: الأهداف الثقافية: من أهداف العولمة ما يعرف بالعولمة الثقافية وهي: عولمة تستبدل الثقافة السائدة في المجتمع بثقافة وافدة جديدة تجلب معها المخاطر؛ لأنها تتجاوز الحدود التي أقامتها الشعوب لتحمي كيان وجودها، وما له من خصائص تاريخية وقومية وسياسية ودينية، وتسييد الثقافة الغربية؛ لتصبح هي الثقافة العليا.

ومن آثار العولمة في الهوية الثقافية:

---

(١) ينظر: العولمة آثار ومتطلباتها، مصطفى حمدي، ص(١٥).

(٢) ينظر: الإسلام والعولمة، محمد المبروك ، ص(١٠٠).

١- انتشار الثقافة المادية الغربية: حيث سيطرت الثقافة الغربية الشعبية على أذواق البشر؛ فهي الثقافة السائدة في مختلف أنحاء العالم، كما أصبحت اللغة الإنجليزية هي اللغة السائدة.

٢- طمس الهوية الثقافية للأمة الإسلامية بانتشار الأزياء والمنتجات الغربية في كثير من الدول الإسلامية؛ لأن هذه السلع تحمل في طياتها ثقافة مغايرة، وتستبدل اللغة العربية باللغات الأجنبية على واجهات المحلات والشركات، وعلى اللعب والهدايا وعلى الملابس.

٣- إشاعة ثقافة العنف والانحلال الخلقي التي من شأنها تنشئة أجيال كاملة تؤمن بالعنف كأسلوب للحياة وكظاهرة طبيعية؛ مما يترتب على ذلك انتشار الرذيلة والجريمة والعنف في المجتمعات الإسلامية، والقضاء على النظام التعليمي والحياة الثقافية والعلاقات الاجتماعية.

ثالثاً: الأهداف الدينية: اتخذت العولمة مساراً لتحقيق أهدافها الدينية، وطمس الهوية الدينية للمجتمع المسلم، ومن هذه الأهداف:

١- التشكيك في المعتقدات الدينية وطمس المقدسات لدى الشعوب المسلمة؛ لصالح الفكر الغربي المادي اللاديني.

٢- استبعاد الإسلام وإقصاؤه عن التربية والأخلاق، وإفساح المجال للنظم والقوانين والقيم الغربية المستمدة من الفلسفة المادية.

٣- تحويل المناسبات الدينية إلى مناسبات استهلاكية؛ وذلك بتفريغها من القيم والغايات الإيمانية إلى قيم السوق الاستهلاكية، فعلى سبيل المثال: تحويل شهر رمضان -شهر الصوم والعبادة والقرآن- وعيد الفطر من مناسبة دينية إلى مناسبة استهلاكية.

رابعاً: الأهداف الاجتماعية والخلقية: من أهداف العولمة في الجانب الاجتماعي هو: التركيز على الحرية المطلقة للفرد؛ مما يؤدي إلى مخاطر سواء للفرد أو المجتمع، وتقوم العولمة لتنفيذ هدفها هذا بالطرق التالية:

١- التركيز على تحرير الإنسان من كل قيود الأخلاق والدين والأعراف؛ مما يسهل بأن يصبح الإنسان أسيراً لكل ما يعرض عليه من الشركات العالمية الكبرى التي تستغله أسوأ استغلال، وتلاحقه به بما تنتجه وتروج له من سلع استهلاكية أو ترفيهية.

٢- تعميق مفهوم الحرية الشخصية في العلاقة الاجتماعية؛ مما يؤدي بدوره إلى التساهل مع الميول والرغبات الجنسية، وتمرد الإنسان على النظم والأحكام الشرعية، والتحلل الخلقي، وخدش الحياء والكرامة والفطرة الإنسانية.

٣- تكريس الثقافة المادية البحتة التي لا مجال فيها العواطف النبيلة، أو المشاعر الإنسانية، وهدم العلاقات الاجتماعية القائمة على: التعاطف، والتكافل، والاهتمام بمصالح وحقوق الآخرين ومشاعرهم، كما أنها تشجع الجشع والانتهازية، والوصول إلى الأهداف بأي وسيلة كانت دون أدنى التفات إلى القيم الشريفة السائدة في المجتمع.

ثالثاً: مظاهر العولمة.

تتخذ العولمة مظاهر وأشكالا مختلفة ومتداخلة، ويمكن تحديد أهم أشكالها في:

١- العولمة الاقتصادية: تتمثل في سيادة النظام الرأسمالي المبني على اقتصاد السوق والحرية والمنافسة، وانفتاح الأسواق، وتسهيل تدفق السلع والخدمات ورؤوس الأموال واليد العاملة، وهيمنة: التكتلات الاقتصادية، والشركات متعددة الجنسيات، والمؤسسات الاقتصادية الدولية.

٢- العولمة السياسية: اختلال العلاقات الدولية وهيمنة النظام العالمي الجديد القائم على القطبية الأحادية.

٣- العولمة الثقافية والفكرية: تتبلور في سيادة ثقافة العالم الرأسمالي، من قيم وعادات وأفكار المبنية على الحرية والنزعة الفردية، وتلاشي الخصوصيات الحضارية، والترويج للثقافة الكونية الواحدة.

٤- العولمة التقنية والاتصالية: تتمثل في ولوج العالم مرحلة الثورة التكنولوجية، وبروز ظاهرة القرية العالمية بتقلص المسافات الجغرافية، وتطوير وسائل النقل والإعلام والاتصالات.

رابعاً: آليات العولمة.

آليات العولمة عبارة عن مجموعة من العمليات التي تؤدي إلى الاندماج في العولمة، وهي على نوعين:

النوع الأول: الآليات أو وسائل التقنية: وتتمثل في:

١- حدوث تقدم تقني هائل في وسائل المواصلات البرية والبحرية والجوية؛ مما نجم عنه اختصار المسافات الجغرافية، وسرعة الاتصال بين أرجاء العالم، وتوسيع نطاق المبادلات العالمية.

٢- حدوث ثورة تكنولوجية كبيرة في وسائل الاتصال، والأقمار الاصطناعية، والإنترنت؛ مما زاد من الروابط والاتصال بين مناطق العالم وأصبح العالم قرية عالمية واحدة.

٣- ظهور وسائل جديدة في مجال الإعلام: كالصحافة الإلكترونية، والتلفزة الرقمية، ووسائل التواصل الحديثة؛ مما سهل بروز مجتمع الإعلام، والتجارة الإلكترونية، والمعاملات المصرفية والمالية والاقتصادية عن بعد.

النوع الثاني: الآليات الاقتصادية: وهي جملة من الإجراءات التي تقوم بها الدول والمؤسسات الدولية لتسهيل الاندماج في العولمة، وتتمثل في: تخفيض رسوم الجمارك، ومنح حوافز للاستثمارات الأجنبية، وتشجيع التنافسية اعتمادا على معياري الجودة والمواصفات الدولية، وخصخصة القطاعات الإنتاجية بتفعيل المبادرة الحرة، ونهج اقتصاد السوق، وإجراء مفاوضات لتحرير التجارة العالمية.

خامساً: الموقف من العولمة.

الموقف الصحيح من العولمة هو عدم رفضها البتة، بل الاستفادة مما فيه منفعة والابتعاد عما فيه مضرة.

ولكن عند قبولها والاستفادة منها يجب الحذر من أهدافها السيئة وخططها الخبيثة وآثارها الخطيرة، والطريقة الأمثل في التعامل مع العولمة تتم كالتالي:

١- تبني المنهج الشمولي في فهم الإسلام الذي يجمع بين العقيدة، والشريعة، والسلوك، والبناء الحضاري، وفق منهج واع سليم يعتمد على: الدين والعلم والعقل.

٢- محاربة مظاهر البدع والخرافات، والتبعية، التي أخرت تقدم الأمة ونهضتها عبر العصور الأخيرة.

٣- الاهتمام بتربية الأسرة المسلمة وتثقيف أفرادها وتوعيتهم من حيث العقيدة، والأخلاق والقيم، وتوجيههم خلال الوسائل والبرامج المفيدة، وتكوين أجيال تشعر بانتمائها الإسلامي، وانتسابها الحضاري للأمة العربية والإسلامية.

٤- تدريب وتأهيل النوابغ والأذكياء في الأمة؛ من أجل إيجاد كادر خبير قادر على دراسة السياسات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية التي تعمل من خلالها قوى العولمة، ورصد هذه السياسات، والعمل على إيجاد خطط وبرامج مناسبة؛ لدرء الأخطار الناجمة عن العولمة قدر المستطاع.

٥- الاستفادة من المنجزات العلمية والتقنية المواكبة لظاهرة العولمة، وعدم الاستغناء الكلي لكل ما جاءت به العولمة، فهناك مجالات مفيدة ساهمت في فتحها وإيجادها العولمة، منها علم الفضاء، وعلم النانو، والمخترعات العلمية والطبية الحديثة.

٦- إعداد الموارد الإعلامية المتخصصة في معرفة الأساليب والطرق التي تستخدمها العولمة من أجل فرض الهوية الخاصة بها، والعمل على وضع البرامج والخطط القادرة على مجابهة برامج العولمة الدعائية والإعلامية؛ ولذلك لابد أن تكون الكوادر الإعلامية مدربة ومؤهلة ومتخصصة في جميع المجالات الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية والدينية.

المصادر والمراجع

١- الأثر الاستشراقي في موقف أركون من القرآن الكريم، محمد سعيد السرحاني، ط:د، ت:د.

٢- أحكام القرآن، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣_ أحكام تجميل النساء في الشريعة الإسلامية أزهار محمود صابر المدني، دار الفضيلة: الرياض، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٤- الأديان في كفة الميزان، محمد فؤاد الهاشمي، الناشر دار الحرية: القاهرة، الطبعة الأولى.

٥- الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات- بركلمان- فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، عبدالله، الأمين النعيم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٦- الاستشراق والتبشير، محمد السيد الجليند، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

٧- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، دار المنار: القاهرة ط:٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٨- الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر، عدنان محمد وزان، سلسة دعوة الحق: رابطة العالم الإسلامي: مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٩- الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، إدوارد سعيد، نقله إلى العربية: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية: بيروت، ط:٢، ١٩٨٤م.

١٠- الإسلام والعولمة، محمد إبراهيم المبروك وآخرون، الدار القومية العربية: القاهرة، ١٩٩٩م.

١١- أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، ط: د، ت: د.

١٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٣- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

١٤- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٥- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر: بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

١٦- بداية المحتاج في شرح المنهاج، بدر الدين أبو الفضل محمد بن أبي بكر الأسدي الشافعي ابن قاضي شهبة، عنى به: أنور بن أبي بكر الشيخي الداغستاني، بمساهمة: اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، الناشر: دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

١٧- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير، تحقيق: أحمد عبدالوهاب فتيح، الناشر: دار زمزم: الرياض، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

١٨- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادى، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: لجنة إحياء التراث الإسلامي: القاهرة.

١٩- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٢٠- التحبير لإيضاح معاني التيسير، محمد بن إسماعيل الأمير، حققه وعلق عليه: محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الرشد: الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

٢١- تحرير ألفاظ التنبيه، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المحقق: عبد الغني الدقر، الناشر: دار القلم: دمشق، ط:١، ١٤٠٨هـ.

٢٢- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٣- التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، الناشر: عمادة البحث العلمي: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

٢٤- تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، جزء١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ، جزء ٢، ٣: من أول سورة آل عمران - وحتى الآية ١١٣ من سورة النساء، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشدِي، دار النشر: دار الوطن: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م، جزء ٤، ٥: من الآية ١١٤ من سورة النساء - وحتى آخر سورة المائدة، تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد سردار، الناشر: جامعة أم القرى، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٥- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٦- تفسير القرآن، المعروف بتفسير السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، المحقق: ياسر بن إبراهيم - غنيم بن عباس، الناشر: دار الوطن: الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٧- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

٢٨- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر، المحقق: د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة: القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢٩- التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، عبدالرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، الناشر: دار طيبة: الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٣٠- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٣١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المعروف بتفسير السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

٣٢- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى،١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

٣٣- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة: بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٥- الجامع لأحكام القرآن، (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية: القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٣٦- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين: بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٣٧- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المعروف بتفسير الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي: بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٨- الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده، فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة: بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣٩- الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية، د. محمد رأفت عثمان، مطبعة السعادة: مصر، ط: ١.

٤٠- دراسات في الاستشراق ورد شبه المستشرقين حول الإسلام، علي شاهين، ط:١، دار الطباعة المحمدية: القاهرة، ١٤١٢هـ.

٤١- دراسات في الثقافة الإسلامية، رجب سعيد شهوان وآخرون، مكتبة الفلاح: الكويت، الطبعة: الخامسة.

٤٢- الدلائل في غريب الحديث، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، تحقيق: د. محمد بن عبد الله القناص، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٤٣- روح البيان، المعروف بتفسير الخلوتي، أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، الناشر: دار الفكر: بيروت.

٤٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٤٥- رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد عبد الحميد غراب، مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام: الرياض، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٦- الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار المنهاج: القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٤٧- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبدالرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي: بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٤٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الرياض، الطبعة: الأولى، عام النشر:، جـ ١ - ٤: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، جـ ٦: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٤٩- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٥٠- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المحقق: شعَيب الأرناؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٥١- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي: بيروت، ١٩٩٨م.

٥٢- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة: بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٥٣- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني أبو بكر البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٥٤- شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع: الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٥٥- شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي: دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥٦- شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الناشر: مكتبة الرشد: الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م.

٥٧- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٥٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين: بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٥٩- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة: بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ — ١٩٩٣م.

٦٠- صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦١- ظاهرة الاستشراق، مناقشات في المفهوم والارتباطات، موسوعة الدراسات الاستشراقية، أ.د. علي بن إبراهيم النملة، ط:٢، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

٦٢- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، محمد بن أحمد بن عبدالهادي الدمشقي الصالحي، تحقيق طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة: القاهرة، ط:١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٦٣- العولمة وآثارها السياسية على النظام الإقليمي العربي، منشورات جامعة آل البيت: عمان، ٢٠٠٠م.

٦٤- العولمة، محمد سعيد أبو زعرور، دار البيارق: عمان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٦٥- غريب الحديث أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار الفكر: دمشق، عام النشر: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٦٦- غريب الحديث، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار الفكر: دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٦٧- غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٦٨- فتاوى نور على الدرب، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، من إصدارات مؤسسة محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ.

٦٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة: بيروت، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط: ١٣٧٩هـ.

٧٠- فتح القدير، المعروف بتفسير الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير- دار الكلم الطيب: دمشق- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٧١- الفروق أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، الناشر: عالم الكتب: بيروت، ط:د، ت: د.

٧٢- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع: القاهرة.

٧٣- الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر: دمشق، الطبعة: الرابعة.

٧٤- فلسفة الثقافة، مصطفى النشار، دار قباء للطباعة والنشر: القاهرة، عام:٢٠٠٠م.

٧٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى: مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

٧٦- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٧٧- كتاب السنة، (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، محمد ناصر الدين الألباني)، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٧٨- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٧٩- لباب التأويل في معاني التنزيل، أو ما يعرف بتفسير الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن عمر الشيحي أبو الحسن المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٨٠- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، النعماني، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، : بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٨١- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الناشر: دار صادر: بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.

٨٢- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها: دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٨٣- المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية: حلب.

٨٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي: القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

٨٥- مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة: بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٨٦- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، عام النشر: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٨٧- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤١٨ هـ.

٨٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٨٩- المحكم والمحيط الأعظم أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحقق: عبدالحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٩٠- محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، أحمد بن حجر بن محمد بن حجر آل بوطامي البنعلي، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة، الطبعة: ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م.

٩١- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحقق: خليل إبراهم جفال الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٩٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٩٣- المدخل إلى نظرية الالتزام العامة في الفقه الإسلامي، مصطفى الزرقا، دار القلم: دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٩٤- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٩٥- مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحي بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث: دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٩٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٩٧- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيدالله العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله - عادل بن سعد- صبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، بدأت: ١٩٨٨م، وانتهت: ٢٠٠٩م.

٩٨- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي: بيروت.

٩٩- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

١٠٠- مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله، طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر: الرياض، الطبعة: الأولى، ١٣٩٢هـ -١٩٧٢م.

١٠١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، الناشر: المكتبة العلمية: بيروت.

١٠٢- مطالع الأنوار على صحاح الآثار، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول، تحقيق: دار الفلاح، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

١٠٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن، المعروف بتفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي: بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

١٠٤- معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، المحقق: أحمد يوسف النجاتي- محمد علي النجار - عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة: القاهرة.

١٠٥- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين: القاهرة.

١٠٦- معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، المؤلف: الدكتور أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب: القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٠٧- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية بمصر، إبراهيم مدكور وآخرون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية: القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٠٨- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية: القاهرة، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الندوة الجديدة: بيروت، الناشر: مكتبة دار التراث — القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م.

١٠٩- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبدالقادر - محمد النجار، الناشر: دار الدعوة.

١١٠- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١١١- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب: القاهرة ، الطبعة:١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م.

١١٢- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١١٣- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم- الدار الشامية: دمشق- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

١١٤- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، المعروف بشرح القرطبي على مسلم، أبو العباس أحمد بن إبراهيم القرطبي، دار ابن كثير: دمشق: بيروت، ط:١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١١٥- مفهوم العولمة وقراءة تاريخية للظاهرة، أحمد صدقي الدجاني، جريدة القدس، ٢/٦ /١٩٩٨م.

١١٦- مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي، دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم، عبدالله بن إبراهيم بن عبد الله الناصر، بدون بيانات أخرى.

١١٧- مقاربتان عربيتان للعوامة، ياسر عبد الجواد، مجلة المستقبل العربي، عدد: (٢٥٢)، شباط ٢٠٠٠م.

١١٨- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١١٩- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٢٠- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي: بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٢١- موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق الأمين، مكتبة الرشد: الرياض، الطبعة الأولى.

١٢٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي: القاهرة.

١٢٣- نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية في الدراسات الإسلامية، ساسي سالم الحاج، دار المدار: بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م.

١٢٤- النكت والعيون، أو ما يعرف بتفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت، ط:د، ت:د.

١٢٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية: بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٢٦- الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، المحقق: الدكتور عَبد الله بن عَبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٢٧- اليسر والسماحة في الإسلام، فالح بن محمد الصغير، اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، عام: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

فهرس الموضوعات.

الموضوع	الصفحة
المقدمة.	٣
مفهوم الثقافة الإسلامية.	٥

الفصل الأول: قيم الإسلام، وفيه ثلاثة مباحث:	
المبحث الأول: القيم العليا في الإسلام، وفيه ثلاثة مطالب:	٧
المطلب الأول: الحق.	٧
المطلب الثاني: العدل.	١٢
المطلب الثالث: الإحسان.	١٧
المبحث الثاني: القيم الخلقية في الإسلام، وفيه ثلاثة مطالب:	٢٣
المطلب الأول: الصدق.	٢٣
المطلب الثاني: الوفاء.	٢٩
المطلب الثالث: الأمانة.	٣٤
المبحث الثالث: القيم الحضارية في الإسلام، وفيه ثلاثة مطالب:	٤٠
المطلب الأول: الاستخلاف.	٤٠
المطلب الثاني: السلام.	٤٨
المطلب الثالث: الجمال.	٥٥
الفصل الثاني: خصائص الإسلام، وفيه أربعة مباحث:	
المبحث الأول: الربانية.	٦٤
المبحث الثاني: الوسطية.	٦٨
المبحث الثالث: العالمية.	٧٥

المبحث الرابع: السماحة واليسر.	٧٩
الفصل الثالث: قضايا فكرية معاصرة، وفيه مبحثان:	
المبحث الأول: الاستشراق.	٨٦
المبحث الثاني: العولمة.	٩٨
المصادر والمراجع.	١٠٣
فهرس الموضوعات.	١١٤